

الدلالة الترميزية

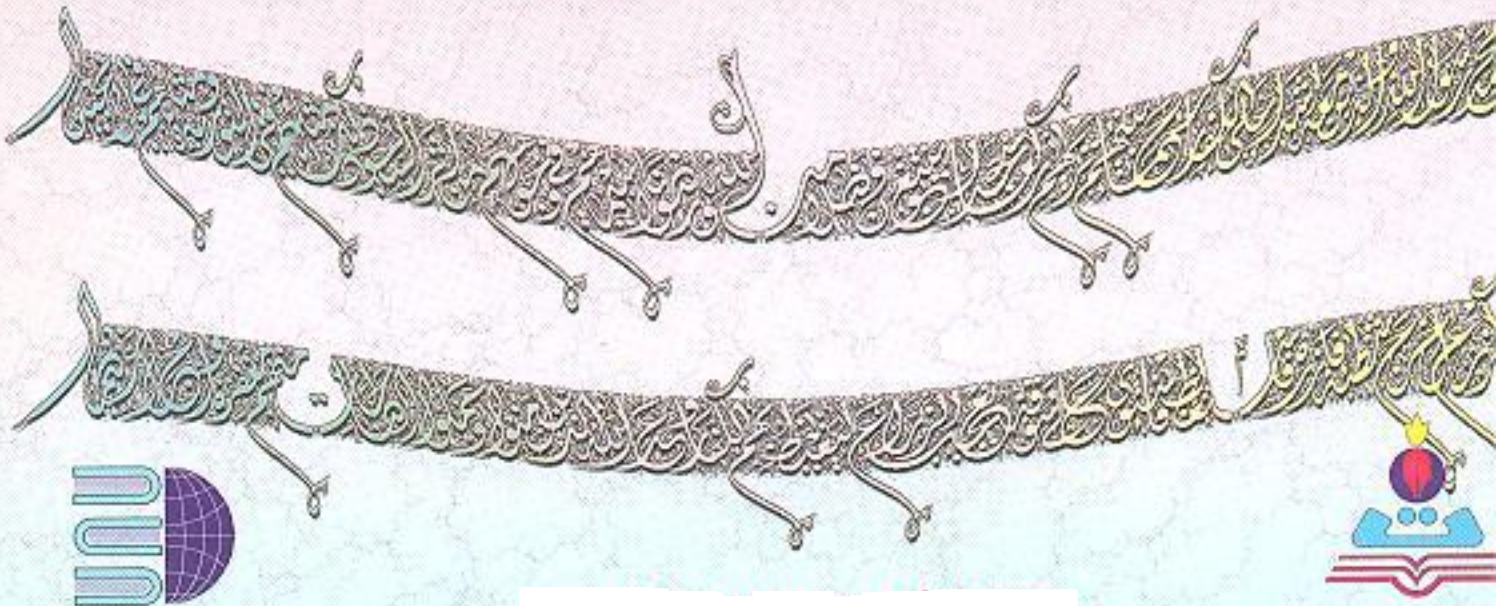
في

الجملة العربية

مسار الدراسة النحوية والعوامل التي وقفت في وجه التطور النحوي، الجملة، الجملة الإسمية
الجملة الظرفية، الجملة الفعلية، الجملة الزمنية، الجملة الماضية، مكونات الجملة التي تفيد
الزمن الماضي، بالصيغ، بالقرائن، الجملة الحالية، مكونات الجملة الحالية، بالصيغ، بالقرائن
الجملة المستقبلية، مكونات الجملة المستقبلية، بالصيغ، بالقرائن

الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري

أستاذ النحو العربي





مَكْتَبَةُ إِسَارِ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

رفع أ. علاء الدين شوقي أسكنه الله الفردوس

الدَّلَالَةُ الزَّمَنِيَّةُ
فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ

■ تأليف : الأستاذ الدكتور علي جابر المنصوري

■ الدلالة الزمنية في الجملة العربية

■ الطبعة الأولى ٢٠٠٢

■ جميع حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة للناشر



■ الناشر الدار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - ساحة الجامع الحسيني - عمارة الحجيري

هاتف ٤٦٤٦٣٦١ - فاكس ٤٦١٠٢٩١ - ص ب ١٥٣٢ عمان ١١١١٨ الاردن

www.daralthaqafa.com

All Rights reserved. No Part of this book May be Reproduced, stored in a retrieval System, or transmitted in any Form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال ، دون إذن خطي مسبق من الناشر .



الدَّلَالَةُ الزَّمَنِيَّةُ فِي الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف

الأستاذ الدكتور

علي جابر المنصوري

أستاذ النحو العربي



2002

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَهْنِئَة

اللغة هي التي تهب العلوم والفنون روحها، وتحدد مراتبها. وترسم صورها، وتشير إلى أسرارها، وبالتالي تقدم لنا ثمار هذه النشاطات الإنسانية يانعة ناضجة. فلولاها لم يصل إلينا الفيض المغني، ((..... ولم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه، ولا صنح من العاقل أن يفتق عن أزاهر العقل كمائمه.....)) (١) ومن أجل ذلك شغل بدراستها القدماء والمحدثون.

فلقد خلف لنا أسلافنا الصالحون تراثاً يستحق الإكبار والإجلال في دراسة الكلام العربي، كان من أخصه التراث النحوي.

ويطالع البحث أول ما يطالعه ذلك الاهتمام المستمر الذي أولاه علماءنا الرواد في دراسة النحو الذي أولى عناية خاصة بالألفاظ بادية ذي بدء.

ومعلوم أن الألفاظ التي تؤلف الكلام «... لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، يعتمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر، أو فضل نشر، فعددت كلماته عدا، كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بنى، وفيه أفرغ المعنى... أخرجته من كمال البيان...» (٢).

إذن هذا النظام النحوي الذي هو ترتيب الألفاظ على طريقة مسموعة ومعلومة، والذي تتحصل به صور مرفقة بالمعاني ترفد ذهن السامع والقارئ والمتكلم لا بد من أنه يشكل منهج النحو الذي كان، ولم يزل يتمثل في جزء من النحو هو (الإعراب والبناء) في أواخر الكلمات.

(١) دلائل الإعجاز ٧

(٢) دلائل الإعجاز ٨

وقد دفع الحرص على الإهتمام به، الكثير من العلماء إلى تحبيب هذا العلم للناس وبيان مقاصده وأهميته، والتصدي لمن ذمه، وصغر من شأنه، فقال الجرجاني: ((.... وأما زهدهم في النحو، واحتقارهم له، أو إصغارهم أمره، وتهاونهم به، فصنيعهم في ذلك أشنع من صنيعهم في الذي تقدم، بأن يكون صدا عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه، ذاك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذا كان قد علم أن الالفاظ مغلفة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الإقراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار المنهج المعياري عند عبد القاهر الجرجاني الذي لا يتبين نقصان كلام، ورجحانه حتى يعرض عليه، والقياس هو المنهج المعياري الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه.. وآل من غالط في الحقائق نفسه، وإذا كان الأمر كذلك، فليت شعري ما عذر من تهاون به، وزهد فيه، ولم ير أن يستسيغه من مصبه ويأخذه من معدنه، ورضي لنفسه بالنقص...))^(١).

منهج الدرس النحوي

- ١- المنهج المعياري ((أي منهج القياس)).
- ٢- المنهج الوصفي... نتبع النص ثم نستخلص منه قاعدة يتمثل ((في السماع)).
- ٣- المنهج البنيوي... وهو موجود في كتاب سيبويه...
- ٤- المنهج التوليدي... وهو موجود في كتاب سيبويه...
- ٥- المنهج التاريخي...

(١) دلائل الإعجاز ٢١٢

الفصل الأول

مسار الدراسة النحوية

والعوامل التي وقفت في وجه التطور النحوي

الفصل الأول مسار الدراسة النحوية

إن الأسباب التي أوجدت الدراسات النحوية، هي نفسها التي وجهت عنايتها إلى علاج ظاهرة (اللحن) في آخر الكلمات. فقد اهتم العلماء من روادنا الأوائل بدراسة الفصحى، تحذوهم الغيرة على حفظ القرآن، بوضع ضوابط على آخر الكلمات، ليعتدوا على نطقها الذين فسدت أسنتهم من عرب وموال، وعلى أساس هذه العلامات، وما يتصل بها من حيث البناء والإعراب، شيدوا منهج الدرس النحوي، وقد قسموا بمقتضاه الكلام، ووضحوا إشارات كل قسم، ثم ميزوا المعرب والمبني، وفق هذا النهج، وبدأوا بعد ذلك في إيضاح المعاني التي تشير لها الأجزاء اللغوية كالتذكير، والتانيث، والتعريف والتنكير، والأفراد والتثنية والجمع، والتكلم والخطاب والغيبة، والصرف وعدمه.

«والمعروف أن هذا الجانب التحليلي من دراسة النحو لا يمس معنى الجملة في عمومها لا من الناحية الوظيفية العامة، كالإثبات، والنفي، والشرط، والتأكيد... ولا من ناحية الدلالة الاجتماعية التي تنبني على اعتبار المقام في تحديد المعنى، وإن كانت تمس ناحية من نواحي الترابط بين أجزاء الجملة بروابط مبنوية. أو معنوية ذكرها فرادي، ولم يعنوا بجمعها في نظام كامل...» (١). فالنهج إذن على هذه الشاكلة لا يوفي المسألة حقها من البحث، ولا يستكمل رسومها في مخيلة المتتبع، لأنه يأخذ بتقسيم ما يشكل عناصر الكلام من الألفاظ، ويعني بكل قسم

(١) اللغة العربية معناها ومبناها / ١٦.

من هذه الأقسام المألوفة، آخذاً بنظر الاعتبار - غالباً - علاج أوضاع اللفظة مفردة، وقلما نجد ينصرف إلى دراسة الجملة إلا من حيث موقعها من الإعراب.

فكان النحو - وفق هذا النهج - لا تتعدى وظيفته، الناحية التحليلية التي تدور في فلك اللفظة، ومحل الجملة من الإعراب. فهو ينظر إلى الجمل على اختلاف أنماطها وتعدد ميادينها نظرة واحدة، تتركز على تبيان آثار الألفاظ بعضها في البعض الآخر، ومن أجل ذلك يضحى بالمعنى والغرض، ويتجه إلى الأشكال والصيغ التي تجعل وظيفة النحو ضيقة ميتسرة. «... ولا بد أن يعني النحو، وقواعد اللغة بدراسة طبيعة الجملة من حيث مدلولها الذاتي، أو الموضوعي، ومن حيث علاقتها بالمفاهيم التي توجد في الخارج. ولا بد من الإلمام بأقسام الكلام من حيث وجود الفكرة التي يعبر عنها في الخارج ... ومن حيث إنشاء المتكلم إياه من دون أن يكون له في الخارج ما يثبته أو ينفيه...» (١) وليس هناك من شك أن الدراسة النحوية لا تفرق بين التراكيب التي يقصد بها الخبر، وبين الإنشاء وما يتفرع منه، فالنحو عليه أن يضع هذه الطرائق من التعبير على بساط المراقبة والدرس، لتدوين النتائج الحاصلة دون إغفال في التأويل والتقدير.

ومما تقدم يتبين أن هذه الدراسة للنحو - على إتساعها - كانت ينقصها التنظيم المبوب، وفق المنهج العلمي، والخط المنسجم مع طبيعة النحو الذي يستند إلى واقع اللغة ويستمد منها أصوله، التي تجعل الاستعمال ركيزة أساس لتقعيد النحو العربي، يضاف إلى ذلك أن دراسته، انتهجت الأصل التعليمي، لا العلمي في نشأتها، كما أنها اعتمدت على الدراسة التاريخية في الرواية، ونقل الآراء عن الدارسين جيلاً عن جيل، وكان حرياً بها أن تعنى بالدراسة الوصفية، ومراقبة النصوص، متخذة من القرآن نصاً أساساً لوضع القواعد والضوابط.

ومن هنا، فإن هذا النحو الذي لقي من الاهتمام، ما دفع الدارسين من العلماء على الحرص عليه، والنظر فيه ملياً والخصوص في أعماقه، والإكثار من

(١) نحو التيسير / ١١٦

التأليف فيه، مؤلفات تعدت حدود، الحصر لم تستوف فيه دراسة الجملة وإنما انصب اهتمام الدارسين له على دراسة الحركات - كما أسلفنا - في آخر الكلمات بعد إنتظامها في الجمل.

وواقع الأمر أن دراسة النحو، يجب أن تنصرف إلى وظيفة الكلمات (الموضعية والمعنوية)، ووظيفة الجمل كتركيب متكاملة ترمز إلى دلالات ذاتية، أو زمنية أو مكانية، ولذلك نستطيع القول: أن النحو - في أغلب أطواره - فقد عنصراً مهماً هو عنصر دراسة الجملة وهذا يرجع إلى قصور أغلب النحاة الذين «... لم يتهجوا في دراستهم النحو منهجاً لغوياً، ولم يدركوا أن الأحكام النحوية لا تستنبط من خارج الدرس النحوي، ولكنها تستنبط من الدرس النحوي نفسه، ومن الاستعمالات التي توجه النحو توجيهاً لغوياً لا ينتمي على منطلق العقل...» (١) الذي طالما دفعهم إلى القياس. وحمل التعقيد على عناصره - أي القياس - من حمل، وتأويل، وتعليل، واستدلال، (٢) فلذلك تحول النحو إلى نوع من الصنعة دفع بالنحاة إلى العبث الفلسفي، فإذا مسه الدارس، تعقدت به المسالك التي تؤدي به - غالباً - إلى النفور، وقد يتعدى به الأمر إلى اتهام اللغة بالقصور، أو العجز في العربية.

غير أن ما تقدم سرده لا يعني، إننا لم نجد من بين الدارسين القديما من حاول دراسة الجملة، بل وجدنا من نحو هذا المنحى، واثقوا العربية بمؤلفات نادرة في هذا الميدان. فهذا الزجاجي (٣٧٧هـ)، يؤلف كتاب الجمل، ويضع عنواناً ينبه الآخرين به إلى شيء يسمى الجمل. ويفرد الفارسي باباً عن الجمل في كتابه العسكريات. وإذا ما صعدنا في سلم الزمن وجدنا الجرجاني (٤٧١هـ) يصنع دلائل الاعجاز ويستعرض فيه دراسة الكلام من الناحية الوظيفية والمعنوية فيقول: ((... ليس الغرض بنظم الكلم إن تواتت ألفاظها في النطق، بل أن

(١) انظر / نقد وتوجيه في النحو العربي ١٥٣، ومناهج البحث في اللغة (بتصرف) ١٩٩-٢٠٠.

(٢) انظر / المسائل الشيرازيات (القياس والاستعمال) ١ / ٧٤-١٠٥.

تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل... أنه لو كان القصد بالنظم إلى النظم نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حدودها، لكان ينبغي أن لا يختلف حال إثنين في العلم بحسن النظم، أو غير الحسن فيه، لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئاً يجهله الآخر...))^(١).

ثم يأتي ابن هشام (٧٦١هـ) فيستعرض دراسة الجمل. ويفرد لها باباً مهماً في كتابه (مغني اللبيب).

ونحن أيضاً إذا ما تأملنا في ما تناوله النحاة - ممن سبق هؤلاء الأربعة، أو ممن أتى بعدهم - وجدنا إشارات مفيدة تعالج قضايا الدلالات الزمنية لاسيما المقالات التي عالجت الأفعال الناسخة، والشاذة وكثيراً من الظروف والحروف.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه المحاولات لدراسة الجمل، لم تكن منتظمة، ولم تنل من إهتمام الدراسين الآخرين عبر العصور، ما يتناسب مع أهميتها في اللغة، فبقية مهمة مبعثرة، لم تتخذ منهجاً واضح المعالم.

ومن هنا كانت هذه الناحية التي لم تحظ بدراسة منسقة. حافظاً شجعني على دراستها، فلعلها تسد ثغرة كان النحو، وما يزال بحاجة إليها، والله الموفق.

(١) دلائل الإعجاز ٣٥ - ٣٦.

العوامل التي وقفت في وجه التطور النحوي

لقد تضافرت عوامل كثيرة، لا يمكن إغفالها فأثرت على تطور النحو، وحفظته في بطون الكتب، لم يأخذ سبيله إلى الدارسين بشكل طبيعي أولاً، ثم هو لم يحظ بالتفات الجيل إليه ثانياً. وهذه الدواعي كثيرة سارت متساوفاً، فدخلت أبواب النحو حتى أحواله إلى تماثيل لا حراك فيها، وكأنه ليس رافداً من روافد اللغة التي تمد حياتها بالتطور الذي نتوسمه للغتنا الجميلة:

(١) اعتماد النحو في مادته الدراسية - عدا مادة القرآن - إن كانت شعراً أو نثراً، على فترة زمنية، هي التي بدأت ببداية العصر الجاهلي، وانتهت عند بداية العصر العباسي الأول، ٨٠ق.هـ - إذ كان الشعراء الثلاثة، إبراهيم بن هرمة (١٧٦هـ) (١)، وأبو عطاء السندي (١٨٠هـ) (٢)، وأبو حنيفة النعمان (الهيثم بن الربيع) (١٨٣هـ) (٣)، آخر من يستشهد بشعرهم، وبطبيعة الحال إن هذا الحصر والتحديد، يسقط من اللغة ما حصل عليها من تطور على أيدي عمالقة ناثري العربية، وشعرائها العظماء من المتأخرين وهو يتعدى ذلك إلى حرمان الحديث النبوي الشريف من الدخول إلى أبواب النحو، ومعروف أن الحديث لم يطرق باب الاستشهاد إلا في القرن الثالث على أيدي الفارس، أما قبل الفارسي فقد كانت العناية به لا تتعدى الإشارة إليه على أيدي الفراء (٤).

(٢) اعتماد النحاة على لهجات قبائل معينة في وضع التقعيد. والضوابط النحوية، حيث استقرت القواعد على أساس لغة «... قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق...» والذين عنهم نقلت

(١) أنظر شعر إبراهيم بن هرمة / ١٢، والاشتقاق ٤١٠، والإعلام ١ / ٤٤ والشعر والشعراء ٢ / ٦٢٩ - ٦٤.

(٢) نظر الشعر والشعراء ٢ / ٦٥٢، ونبأثة المعارف ٤ / ٤٥٢.

(٣) أنظر الشعر والشعراء ٢ / ٦٥٨-٦٥٩.

(٤) أنظر أبو زكريا الفراء / ٨٨.

اللغة العربية... من قبائل العرب هم قيس، وتميم وأسد... ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ، لا من لحم، ولا من جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام...)) (١). ولا أدري لماذا حصر أبو نصر الفارابي الأخذ عن العرب بهذه البطون منها في الوقت الذي كان العرب فيه يشكلون مئات القبائل؟ ولا أدري لماذا يقول: أنه ((لم يؤخذ عن حضري قط)) في الوقت الذي كانت فيه قريش حضرا، وكان أفرادها لهم تجارة، ولهم اختلاط مع سائر الأمم، أشار إلى ذلك القرآن الكريم. وإذا كان الأمر كما يقول شيخنا فلماذا استعان الكسائي في هزيمة سيبويه في المناقشة حول القضية (الزنبورية) بالعرب الوافدين إلى بغداد؟ (٢) وطبيعة هذا النص المتقدم تشير إلى ((... أن العربية التي في صورتها التي بين أيدينا ليست إلا فرعاً من فروع العربية غلبه القرآن، وقرضته للحياة الجديدة التي صار إليها المجتمع بعد نزوله ... وليس ثمة من ينكر أن في العربية لهجات وفروعاً أخرى بعضها معروف، وبعضها غير معروف تختلف في بعض أصولها وقواعدها، وتتمايز تمايزاً واضحاً، ولكنها أصبحت بعد نزول القرآن، وجمعه وضبط قراءاته في عداد المنقرض المهمل...)) (٣).

ومما يؤيد ذلك أننا نجد في القراءات التي وصلت إلينا فيضاً زاخراً من القضايا النحوية التي لم تدخل باب التععيد. ونحن إذا أردنا أن نعرف لغة العرب والقواعد الشاملة لها، علينا أن نستقرى لغة العرب من جميع قبائلها مستعينين بكل الوسائل الصالحة للدراسة، ومنها كتب القراءات، لتتعرف على النحو التاريخي الكامل لهذه اللغة الأصيلة، لنبني عليه النحو الوصفي.

(١) الاقتراح / ١٩

(٢) الإنصاف ٢ / ٧٠٣.

(٣) نحو التيسير / ١٣.

ومن هنا فإن التضيق الذي انتهجه الدارسون لوضع الضوابط النحوية حسر عنا الكثير من قواعد النحو العربي.

(٣) الاعتماد على القياس الذي خرج بالنحو إلى التعليل، والتأويل، والحمل، والاستدلال، وحمل اللغة وموضوعاتها وظواهرها، بزخم من المنطق والفلسفة، منذ أن بدأت الدراسات تأخذ طريقها، وتستوي على سوقها عند المتقدمين، وكان عبد الله بن أبي إسحاق على ما قيل، أول من بعج النحو ومد القياس (١)، وسار القياس بالتوسع حتى بلغ ببعض النحاة إن قال: أخطىء في مسألة استعمالية واحدة ولا أخطىء في مائة مسألة قياسية (٢).

(٤) عدم اتخاذ النص القرآني أساساً لضوابط التقعيد، على الرغم من أن القرآن الكريم كان الباعث المحفز لدراسة النحو، فقد كانت غير النحاة على لغته وقراءاته من أهم الدوافع التي دفعت بهم إلى تتبع الظواهر اللغوية. وبدلاً من أن يكون نصاً أساساً للتقعيد، كما كان حافزاً، أصبح استشهاده على التقعيد المبني على اللهجات المحصورة الضيقة التي كانت تمثل جزءاً من لغة العرب. وهكذا فقد كان القياس واللهجات في نظر النحويين أولاً، ثم القرآن والاستشهاد به ثانياً، ولو اتخذ القرآن أساساً والقياس واللهجات تاييداً؛ لأعفونا من هذا التكلف والاجتهاد البعيد، الذي لا نجد له صلة - أحياناً - بين المحمول والمحمول عليه، ولأعفونا أيضاً من هذه الخلافات المتباينة التي تصل - أحياناً - إلى الحد الذي لا يعقل.

(٥) اعتماد الدراسات النحوية في القديم والحديث على المباني ولم تقصد إلى المعاني إلا إشارات قليلة عابرة، لا تسد حاجة الدارس والمتتبع، كما أنها اهتمت بالناحية التحليلية لهذه المباني التي لا تتعدي الأثر والمؤثر (نظرية العامل) المعتمدين على الحركات الإعرابية، والمعاني التي ترتبط بها من فاعلية ومفعولية (٣).

(١) أنظر / أخبار التحوين البصريين / ٢٥، وإجراء القياس في النحو ٥١.

(٢) المسائل الشيرازيات ١ / ١٣٠، وأسرار العربية ١٨.

(٣) أنظر اللغة العربية معناها ومبناها / ١١٠.

(٦) الاعتماد في تدريس النحو على تراث الفترة المظلمة المشحون بالشروح والتعليقات والحواشي، وكان على الدارسين، وواضعي مناهج الدراسات النحوية أن يتنبهوا إلى أن هناك أصولاً سهلة شاملة، يمكن أن ندفع بها إلى ميادين الدرس، لتحل محل الكتب السائدة في جامعاتنا العربية. بالإضافة إلى ذلك، علينا أن نولي كتب الجمل عناية متميزة من بين كتب التراث النحوي في مجال التربية اللغوية والذوقية، فندخل إلى قاعات الدرس، الكتب التي تضمنت الجمل.

(٧) الاعتماد على الدراسات التاريخية، وإهمال الدراسات الوصفية، ومعنى ذلك أن الدراسة النحوية بنيت على الاجتهادات المتوارثة التي استنبطها النحاة بعضها عن البعض الآخر وأضاف إليها آخرون آراء جديدة حتى بلغت حداً من الكثرة والتضارب، يقيه به الدارس، فتبدو له - أحياناً - بعض القضايا أن لا ضابط بها، وأنها صحيحة كيفما نطقت بها. مادامت قد جوزتها هذه الكثرة من الاحتمالات المتضاربة، وكان الدارسين المتأخرين قطعوا الصلة بين هذه الكثرة من الآراء وبين النصوص التي استنبطت منها، وكان على الدارسين أن يعيدوا النظر فيما قيل حول النص بمراقبة النص نفسه. لاستخلاص الرأي الأصوب ليكون أساساً للتقعيد ورفض ما سواه من الآراء.

ومما يبشر بالتفاؤل أن هذا المنهج الوصفي أخذ يشق طريقه على أيدي باحثين إجلاء إلى ميادين دراسة النحو.

(٨) الاعتماد على الشعر المصنوع الذي لا يعرف قائلوه، في الوقت الذي نمتلك فيه فيضاً زاخراً من الشعر الصحيح القويم، الذي يمكن أن يعتمد عليه كمادة أساسية من مواد دراسة النحو. ولما كانت اللغة مظهراً من مظاهر حياة الأمة، تتطور بتطور البيئة والزمان، فلا بد من إخضاع عناصرها الصحيحة للدراسة، لاستخلاص من القواعد منها.

(٩) الاعتماد على الأمثلة الجافة المتكررة التي ملتها الإسماع، وضاعت بها كتب النحو، وكأن النحو لم يوفق دارسوه لإيجاد أمثلة أخرى تعوض عن القديمة، وتسد حاجة الأبواب النحوية، فأنت واجد - في أغلب كتب النحو - أمثلة متوارثة منقولة من كتاب إلى آخر، كاد الأمر يصل بالباحث أحياناً إلى حصر هذه النماذج وعددها، وفي نظري أن العربية بحر واسع يحتوي على مكنونات، وأمثلة متجددة بليغة تربي القابلية النحوية، ترقى إلى العصر الحاضر في الوقت الذي تنمى فيه الذوق والعواطف، ولا يخفى فإن للبلاغة في الأمثلة أثراً بليغاً (١) في تكوين شخصية الدارس، غير أننا لا نكاد نجد في الأمثلة النحوية أثراً بلاغياً يلفت النظر، وربما خرج الكثير منها عن العرف الأخلاقي، ونحن لاشك بصدد تربية جيل، علينا أن نختار ما يناسب لبنائه عقلاً وحساً.

(١٠) تلاعب النحاة في قضايا كثيرة، وضعوها على غير ما تكلمت به العرب.

قال سيبويه : ((هذا باب استكرهه النحويون وهو قبيح، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب، وذلك قولك: ويح له وتب، وتباك وويح، فجعلوا التب بمنزلة الويح، وجعلوا ويح بمنزلة التب، فوضعوا كل واحد منهما في غير الموضع الذي وضعتة العرب...)) (٢). وعلى هذا، فإذا أردنا دراسة النحو بشكله الوافي الواضح، فلا بد لنا من إصلاح المنهج الدراسي للنحو بحيث يعنى قبل كل شيء بالعلاقات التي تشد الألفاظ المفردة مع بعضها حين تتألف في جمل، وفق سياقات كلام العرب الفصحاء، لا أن نحور، أو نصنع شواهد غريبة أو نقيس على الشواذ والنوادير، بل نأخذ لغة الوسط السليمة الميزان الأصيل لتقعيد النحو العربي.

(١١) التوسع في النظريات التي لا تزيد الدارس فائدة علمية، وأن نترك النزاع

(١) أنظر / نظرات في اللغة والنحو / ٤٥.

(٢) الكتاب ١ / ١٦٧ - ١٦٨.

القائم بين النحاة على إعراب كلمة - مثلاً - كما حصل من الخلاف الكبير حول إعراب جمع المذكر السالم، هل هو معرب بالحروف أم بالحركات المقدره، أم بالحروف والحركات، وهل الإعراب كائن على الواو والياء والألف - إذا كانت حروفاً - أم على الحروف السابقة لها. وحصل مثل هذا الخلاف في إعراب الأسماء الستة (١). وهذا الذي أشرنا إليه قليل من كثير يستوعب كتباً مطولة.

ومما يرتبط بهذه الظاهرة ظاهرة أخرى هي الخلط بين قضايا هذا النحو، والقضايا الأخرى التي قد لا تتصل بالظواهر النحوية في كثير من الأحيان لا من رقيب ولا من بعيد وهذا ما جنح إليه الكثير من النحاة المتأخرين وواضعي الشروح، وشرّاح هذه الشروح.

(١٢) فقر النحو العربي إلى وضع كتاب يتحلى بأكمل ما يتطلبه العصر من دقة وتهذيب واتقان في المادة، والتبويب والترتيب والشمول، والعرض، والتحليل، وإعطاء الضوابط التقعيدية، ليكون مرجعاً رئيساً لدراسة نحو المفردة، ونحو الجملة، ومورداً لمن يريد الدخول إلى هذا الميدان الفسيح ((... ولا يتأتى ذلك إلا على يد فئة من إعلام العصر أحاطت علماً بما تَقَلَّبَ عليه هذا العلم في أطواره المختلفة، من رفع وخفض، وإبرام، ونقض، تنظر هذه الفئة فيه نظراً بعيداً عن التعصب لمذهب، والتحيز إلى رأي، فتمخض قواعده، ومسانئه مخضاً علمياً، وتخرج زبدته خالصة فتودعها كتابها، وإلا فإن إبقاء هذا العلم على ما هو عليه من التذافع في المذاهب، والتضارب في الآراء والتشعب في القواعد والمسائل يدعو إلى إطلاق يد للفوضى فيه، وإجفال النشء عن تعاطيه، أو بالأقل ... يستغلون ظله في هذا الوقت ... وعلينا أن نأخذ بحظنا من الخدمة في هذا الباب بمقدار ما يتطلبه مزاج العصر من إصلاح، وما تسخر به الطاقة من جهد...)) (٣).

(١) أنظر / الإنصاف ١ / ١٧-٣٣.

(٢) نظرات في اللغة والنحو ٥ - ٦.

(١٣) فقر الجيل إلى التربية اللغوية. فإذا أردنا تقدم النحو، علينا أن نقوم بتربية الجيل لغوياً ليسمو ذوقه، ويتحسس مواطن الجمال في لغته، وحيويتها، وحينذاك يؤمن بتراثه الأصيل، وثروته الفكرية مضافاً إليها عامل التطور وعامل الزمن الذي يعاصره الفرد العربي الآن. وهذا يتطلب منا أن نقوم بعملية تربوية صحيحة فرعية ضمن إطار نظرية التربية العامة للشعب العربي.

نحو الكلمة، نحو الجملة

نحو الكلمة:

قال الأشموني في تعريف النحو «هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من إستقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي أتتلف منها»^(١).

ويقصد بأجزاء الكلام هنا، المفردات والجمل، وعلى هذا الأساس كان مجرى النحو في بدايته يشمل الألفاظ، والتراكيب، والجمل، ولكن «... لم يطل النحاة الأقدمون النظر في الأبنية المركبة، وأريد بالأبنية المركبة نحو: (قد فعل) و (كان قد فعل) و (كان فعل..)»^(٢)، وصرف كثير من المتأخرين النحو عن مساره الأصلي المرسوم له، إلى علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءً^(٣)، وهذه هي حال النحو كما يتصور في الوقت الحاضر لكثير من الدارسين. إذن كان النحو في الأصل على نحوين، نحو الجملة، ونحو الكلمة.

ونحو الكلمة، يتبين في :

أ- المعنى الإعرابي المتمثل بالحركات الإعرابية التي هي دلالات على الفاعلية، والمفعولية والإضافة في الأسماء.

ب- دلالة الكلمة على الصيغة من حيث القلة والكثرة في المعنى.

ج- موضع الكلمة في الجملة من حيث التقديم والتأخير.

د- المعنى العميق للكلمة الذي هو الأساس في الاقتران الذهني بين الألفاظ.

وبذلك يمكن القول: إن العربية في نحو مفرداتها لها خواص تميزها عن غيرها من اللغات. من هذه الخواص أن الكلمة تحمل معها ما يدل على صيغها الإعرابية، ومنها أن تقديمها وتأخيرها في الجملة يعطيها وظيفة أخرى، ومعنى

(١) الأشموني ١ / ١٥.

(٢) الفعل زمانه وأبنيته / ٢٥.

(٣) أنظر / أقسام الأخبار الورقة ١٠.

آخر غير المعنى المتمثل في الإعراب من حيث الفاعلية والمفعولية، والإضافة، وهو الاهتمام بها والقصد إليها في الكلام، وعلى ذلك يجب أن لا يقتصر في نحو المفردة على الأثر الإعرابي كما هو سائد في آخر الكلمات.

نحو الجملة:

ويبحث في دلالة الجملة الذاتية، والموضوعية، والحدثية، والمكانية والزمانية. فالجملة كتركيب متنوعة الأوضاع، والمفاهيم، يتميز كل لون من ألوانها بقصد يتعين من خلال العلاقات المترابطة من التحام الكلمات.

فالجملة تكون إسمية ذات مفهوم دلالي ذاتي يعبر عن مواضيع تخالج النفس، لا علاقة لها بالأحداث أو الأمكنة والأزمان، أي أنها لا ترتبط بالأفعال والظروف التي تؤدي وظيفة الأفعال وتتضمنها.

وتكون فعلية إذا كان المسند فيها فعلاً، يقصد به دلالة حدثية. أو زمنية، أولاً يقصد. وتكون ظرفية إذا تضمن الظرف فيها وظيفة الفعل. أو إشارة إلى المجالات المكانية، والزمانية التي تدور فيها الأحداث المعنوية والمادية.

ومن هنا فنحو الجملة يعنى في:

أ- وظيفة الجملة.

ب- مكان الجملة.

ج- دلالة الجملة على الذاتية، والزمانية، والمكانية.

د- فائدة الجملة في الأساليب.

هـ- القرائن المساعدة التي ترتبط بها.

الفصل الثاني

الجملة

الفصل الثاني الجملة

تأليف الجملة هو ميدان الدراسة النحوية، لأن النحو لا يعني بالصوت وما يرتبط به من آثار لغوية ولا باللفظة الواحدة وما يتصل بها، وإنما يهتم بالكلمة المنسوجة مع الأخرى في تركيب جملي، وليست الألفاظ المتألفة في جمل إلا صوراً منطوقة لما هو حاصل في الذهن من التركيب المعنوي: «والتأليف في الذهن هو ربط الصور الذهنية المفردة بعضها ببعض على نحو تتحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور، فإذا أردنا أن نعبر عن ذلك، أو ننقله إلى ذهن السامع أو المخاطب، عبرنا عنه بمركب لفظي»^(١).

إذن وظيفة هذا التركيب هي نقل ما يدور في ذهن المتكلم من آراء إلى ذهن السامع، وعلى هذا فالجملة في هذا التصور هي «القول المقيد بالقصد»^(٢).

الجمل من حيث الإعراب

قسم ابن هشام الجمل إلى صغرى، أو ما يسمى بالجمل البسيطة، وإلى كبرى، أو ما يسمى بالجمل المركبة. وقسم الجمل أيضاً بإعتبار آخر إلى ما لا محل لها وهي سبع:

١- الابتدائية نحو: زيد قائم.

٢- المعارضة نحو: زيد - أظن - قائم

(١) في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٨٢، ٨٣.

(٢) مغنى اللبيب / ٢ / ٣٧٤.

٣- التفسيرية نحو قوله تعالى : ﴿ وأسروا النجوى الذين ظلموا: هل هذا إلا بشر مثلكم ﴾^(١).

٤- جملة جواب القسم نحو : ﴿ والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين ﴾^(٢).

٥- جملة جواب الشرط غير الجازم : إذا درست، فأنت ناجح. أو جملة جواب الشرط الجازم التي لم تقترن بالفاء نحو: أن تدرس، فأنت ناجح.

٦- جملة الصلة نحو: جاء الذي يعجبني حديثه .

٧- الجملة التابعة لجملة لا محل لها نحو: قام زيد، وذهب بكر.

وإلى ما لها محل من الإعراب وهي سبع أيضاً :

١- الخبرية نحو : الطالب يدرس .

٢- الحالية نحو : ﴿ لا تقربوا الصلاة، وأنتم سكارى... ﴾^(٣)

٣- الواقعة موقع المفعول به نحو: قال الأب: الإبن يار بوالده.

٤- الواقعة في موضع جر نحو: «السلام علي يوم ولدت...»^(٤)

٥- جملة جواب الشرط الجازم المقترنة بالفاء، أو إذا نحو: أن تعمل، فأنت من الموفقين.

٦- الجملة التابعة لمفرد (الصفة، والمعطوفة، والمبدلة) نحو قوله تعالى : ﴿ واتقوا يوماً ترجعون فيه... ﴾^(٥).

٧- الجملة التابعة لجملة لها محل من الإعراب نحو: خالد زرع الشجرة، وقطف الثمرة.

(١) - الأنبياء ٢١ / ٣.

(٢) - ياسين ٣٦ / ٣٢.

(٣) - النساء ٤ / ٤٣.

(٤) - مريم ١٩ / ٣٣.

(٥) البقرة ٢ / ٢٨١.

يحمل ابن هشام هذا التقسيم على أساس إمكان تأويل الجملة بمفرد، وعدم إمكان تأويلهما بمفرد، فما حلت محل المفرد، أخذت وظيفة إعرابية واحتلت محلاً تابعاً، وما لم تؤول بمفرد. لا تشغل وظيفة إعرابية.

ولا أظن أن جميع الجمل التي لها محل من الإعراب تؤول بمفردات تعطي المدلولات التي تعطى جملها للكلام السابق، بل تعطي الجمل - في أغلب الأحوال - فيضاً من المدلولات أكثر مما تعطيه المفردات. فإن لكل صيغة من صيغ العربية طرافة بلاغية ودفقة معنوية يؤديها لفظ خاص تتغير إذا ما تغير هذا اللفظ.

وعلى هذا يمكن أن نقول: إن الجمل التي لها محل من الإعراب هي تلك التي تتحمل حركة إعرابية (رفعاً، ونصباً، وجرأً، وجزماً). والتي لا محل لها هي تلك التي لا تتحمل حركة إعرابية، وكلا النوعين من الجمل مرتبط بالكلام، يؤدي وظيفة معنوية استعمالية لا غنى لنا عنه في سياق الكلام. ويمكن أن نقول - بعبارة أدق - إن الجمل التي لها محل من الإعراب كما يسميها ابن هشام هي التي تتحمل حركة إعرابية، وتحمل معنى جديداً مستقلاً يضاف إلى معنى الكلام السابق، والجمل التي لا محل لها من الإعراب هي تلك التي توضح، أو تؤكد معنى سابقاً لها. فهي مرتبطة بالكلام، ولكنها لا تتحمل حركة إعرابية. ولا تحتوي على معنى مستقل ابتداءً.

ومعنى الإعراب عند ابن هشام على هذا التفسير الذي سبق بأن أثبتناه يعني تحديد موضع الجملة من حيث الفاعلية، أو المفعولية، أو الإضافة، ولا يعني (الإعراب) عنده في هذا المفهوم معنى الجملة في الكشف عن خوالج الإنسان، وإيضاح المعنى الوظيفي من حيث مقدار ما تتضمن من معاني المفاهيم الإنسانية المعبرة عن خوالج النفس العربية.

وعلى هذا الأساس كان الأفضل أن يقول عالمنا الجليل: الجمل التي تتحمل حركة إعرابية، والجمل التي لا تتحمل حركة إعرابية. أما من حيث المحل وعدم

المحل، فإن جميع الجمل لها محل من الإعراب، إذا قصد بالإعراب، الإيضاح عن نفس المتكلم، وهذا الإيضاح إما ذاتي يعبر عن وظيفة الترابط الوصفي أو حدثي يشير إلى المدلول الزماني والمكاني.

الجمل باعتبار الإسناد

إن المحاولات الناضجة التي وصلت إلينا في بحث الجملة - كما وصل إلى علمي - هي محاولة الجرجاني (٧٦١هـ) في كتابه مغني اللبيب.

وقامت المحاولة الأولى - قبل ابن هشام - على تقسيم الجمل إلى إسمية وفعلية باعتبار الكلمة المتقدمة. فإن كانت اسماً نحو: الرجل كريم، أو الولد يلعب، قيل: إنها إسمية، وإن كانت الكلمة المتقدمة فعلاً قيل: إنها فعلية نحو: يلعب الطفل. ثم جاءت محاولة ابن هشام في تقسيم الجمل إلى ثلاثة أقسام هي^(١):

الجملة الإسمية: ما ابتدأت بإسم نحو: الطالب ذكي.

الجملة الفعلية: ما ابتدأت بفعل نحو: يدرس الطالب.

والجملة الظرفية: ما ابتدأت بظرف، أو جار ومجرور نحو: في القفص عصفور.

ويلاحظ في تقسيمه هذا أنه مبني على أساس الكلمة المتقدمة أيضاً كمن سبقه.

وقد وافق الدكتور مهدي المخزومي - من الباحثين المحدثين - ابن هشام في تقسيمه هذا غير أنه خالفه في الجملة التي يكون خبرها فعلاً، فهي في رأي ابن هشام إسمية، وفي رأي المخزومي فعلية: لأنه يرى «... أن يبني تقسيم الجملة على أساس آخر ينسجم مع طبيعة اللغة... وينبغي أن يستند تقسيم الجملة إلى

(١) - انظر مغني اللبيب / ٣ / ٣٧٦ - ٣٨٠.

المسند لا إلى المسند إليه كما فعلوا، لأن أهمية الخبر، أو الحديث، إنما تقوم على ما يؤدي المسند من وظيفة، وعلى ما للمسند إليه من دلالة (١) ونحن نميل إلى ما يراه المخزومي ذلك لأن ما يراه يوفر علينا ظاهرة التقدير للفاعل فيما لو أخرج الفعل في نحو:

الطالب يكتب. لأن الطالب الذي يراه ابن هشام (مبتدأ) هو (فاعل) في حقيقته، لكنه قدم لأهميته في الكلام، فلا داعي لاعتباره (مبتدأ) في الوقت الذي نعتبر فيه ضميره فاعلاً، والضمير مطابق للمضمر له ويشير إليه، فهو على هذا فاعل، إن تقدم وإن تأخر. ونخلص من ذلك إلى أن الجملة الفعلية ما كان المسند فيها فعلاً، والإسمية ما كان المسند فيها إسماً، والظرفية ما كان المسند فيها ظرفاً.

الجملة الإسمية :

هناك نقطة مهمة يجب أن نشير إليها هي أن العربية تكاد تنفرد بظاهرة الجمل الإسمية التي يتكون طرفاها من إسمين «...لأن الجملة في اللغات الأخرى-كما نعرف عنها على الأقل- لا يمكن أن تخلو من الفعل، وفعل الكون لا بد منه إذا لم يكن في الكلام غيره من الأفعال. أما الجملة العربية فمنها ما يكون طرفا الإسناد فيه إسمين على أن يكون في أحدهما معنى الوصف كما نص على ذلك النحاة...» (٢).

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول: «...إن الجملة الإسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند، ولا تشير إلى حدث، ولا إلى زمن فإذا أردنا أن نضيف عنصراً زمنياً طارئاً إلى معنى هذه الجملة، جئنا بالأدوات المنقولة عن الأفعال، وهي الأفعال الناسخة فأدخلناها على

(١) - في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٨٦.

(٢) نحو التيسير ١١٤ - ١١٥.

الجملة الإسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظوراً إليه من وجهة نظر
زمنية معينة...^(١).

فالجملة الإسمية إذن وفق هذا المفهوم هي الجملة التي لا يكون فيها المسند
فعالاً، غير أنها يمكن أن تقترن أحياناً بقرينة خارجة عن الإسناد تشير إلى زمن
معين في الماضي، أو الحال، أو المستقبل، أو تقترن بقرينة تشير إلى الزمن بأبعاده
الثلاثة. وكما تقترن الجملة الإسمية بقرينة تدل على الزمن، كذلك تقترن بما
يشير إلى الدلالة المكانية، غير أنها غالباً ما تكون عارية من القرائن، متصفة
اتصافاً عاماً يبين العلاقة بين المسند والمسند إليه، خالية من الارتباط الزمني
والمكاني معبرة عن معاني متصورة في ذات المتكلم.

الجملة الظرفية :

ونقصد بالجملة الظرفية هنا تلك التي يكون المسند فيها ظرفاً، أو جاراً
ومجروراً إما دالاً على الزمان، وإما دالاً على المكان نحو : زيد عندك يوم الجمعة.
والعصفور فوق الشجرة.

والمعروف أن ظرف الزمن لا يخبر به عن الجثث (١)، فلا معنى لقولنا: الرجل
يوم الخميس. وإنما يخبر بالزمن عن المعاني نحو قولنا. السفر يوم الخميس.
وكلنا نخبر بظرف المكان عن الأسماء المعنوية فنقول: المصيف فوق الجبل. وعن
الأسماء المادية فنقول: البدوي فوق الجمل.

وموضوعنا الآن يتعلق بظرف الزمان من حيث الإخبار به، ودلالته على
الأبعاد الزمنية النحوية. والدلالة على الزمن في الخبر - إذا كان ظرفاً - قد
تستغرق الزمن بأبعاده جملة نحو: الأمل في العمل. أو تشمل مقداراً زمنياً لم
يقع في حدود الأبعاد المتدرجة من المضي إلى الاستقبال نحو: المصيف وقت الحر.
وقد يحده المسند (الظرف) في الجملة الظرفية أبعاد الزمن، الماضية نحو. العمل

(١) اللغة العربية معناها ومبناها / ١٩٣.

أمس. والحالية نحو: السفر الآن، والمستقبلية : نحو السفر غداً وقد ترتبط
بالجملة الظرفية القرائن المعنوية واللفظية، والتي هي خارجة عن رابطة الإسناد،
فتحدد لها أبعادها الزمنية على وجه أدق وأفضل. نحو قولنا:

كان السفر يوم الخميس. الجزء بعد الموت في الجنة.

وفي ظني بأن الجملة الظرفية لا تعطي الدلالة الزمنية الدقيقة إلا بما
يصحبها من القرائن، فهي بدون القرائن لا تدل على التفاصيل الزمنية التي
تتوفر للجملة الفعلية.

الجملة الفعلية :

(الفعل ودراسة القدماء له - زمنه الصري والنحوي)

يقصد بها تلك الجملة التي يكون المسند فيها فعلاً تقدم أو تأخر، لأنها تقوم
على أساس الفعل. وقد اختلف العلماء في تقسيم الفعل قديماً وحديثاً، فمنهم من
يراه قسمين إثنيين، ومنهم من يراه ثلاثة أقسام. ونحن هنا نحاول أن نستعرض
تقسيمه عند كبار النحاة من القدماء أولاً ثم المحدثين ثانياً صعوداً مع الزمن على
أساس نظرتهم إليه. قال سيبويه (١٨٠هـ) : «... وأما الفعل فأمثلة أخذت من
لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم
ينقطع، فأما بناء ما مضى، فذهب، وسمع... وأما بناء ما لم يقع، فإنه قولك
أمر: إذهب، وأقتل وأضرب ومخبراً يقتل ويذهب... وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو
كائن إذا أخبرت» (١) ونحس في تقسيم سيبويه هذا نوعين:

الأول: لفظي معروف لدينا الآن، وهو تقسيم الأفعال من حيث الصيغ الشكلية
إلى ماضي، ومضارع، وأمر.

والثاني: معنوي يعني الماضي، والمستقبل (الذي يشمل المضارع والأمر صيغة).
والدائم (الذي يقصد به إسم الفاعل ويعني الحال المستمر إلى المستقبل).

(١) انظر المقتضب ٤ / ٣٢٩.

ويؤكد هذا التقسيم ويقويه قول المبرد (٢٨٥هـ): «...فكل فعل يتعدى إلى الزمان. وذلك أنك إذا قلت: أقوم، وسأقوم، دللت على أنك ستفعل فيما يستقبل من الدهر، فالفعل إنما هو مبني للدهر بأمثله، ففعل لما مضى منه، و(يفعل) يكون لما أنت فيه، ولما لم يقع من الدهر...»^(١).

فنحن نلاحظ في تقسيم المبرد هذا شيئين، الأول: أنه يقرر أن صيغة المضارع تدل على الاستقبال - كما يقرر سيبويه من قبل سواء اتصلت بالسین أم لم تتصل - وكأنه يريد أن يقول: إن الفعل قسمان ماضي، ومستقبل. والثاني يقرر فيه.

إن المضارع (صيغة) يفيد الحال، وكأنه يصرح أن الفعل ماضٍ وحال، ومستقبل، ولا أدري لماذا لم يشر إلى فعل الأمر (صيغة). ولعله اكتفى بذكر المضارع لشمول صيغته على فعل الأمر، ذلك لأنه - أي الأمر - يقع في الحيز الزمني للمضارع.

ومهما يكن الأمر، فإننا نجد في القسم الأول من النص ما يدعم قول سيبويه معنى، ونجد في القسم الثاني ما يدعم قول سيبويه لفظاً.

وإذا نظرنا فيما أورده الزجاجي (٣٣٧هـ) رأيناه متارجحاً (في تقسيمه للفعل) بين الحالتين اللتين سار عليهما سابقاه فهو يقرر أن الفعل ماضٍ ومستقبل فيقول:

«الفعل على أوضاع النحويين ما دل على حدث وزمان ماضٍ، أو مستقبل نحو: قام يقوم، وقعد يقعد...»^(٢). لم يقسم الفعل في مكان آخر إلى ماضٍ، وحال ومستقبل فيقول: «أعلم أن أسبق الأفعال في التقدم للمستقبل، لأن الشيء لم يكن ثم كان، والعدم سابق الوجود، فهو في التقدم منتظر، ثم يصير في الحال، ثم ماضياً فيخبر عنه بالماضي. فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ثم فعل الحال، ثم

(١) الكتاب ١ / ٢.

(٢) المقتضب ٤ / ٣٣٥ - ٣٣٦.

الماضي» (١). ولا يتعدى الكوفيون هذا النهج الذي رسمه نظراؤهم البصريون فهم كانوا قد «... قسموا الفعل باعتبار دلالاته الزمانية إلى ماضٍ، ومستقبل، ودائم...» (٢).

والتأمل فيما تقدم من النصوص يرى أن النحاة ربطوا الفعل بالصيغ الزمنية الثلاث شكلاً ومعنى، كما ربطوه (بالحدث) و(المكان). فقد كان المبرد يرى «... إن كل فعل تعدى أو لم يتعد، فإنه متعد إلى ثلاثة أشياء، إلى المصدر... ويلى المصدر الزمان، فكل فعل يتعدى إلى زمان... والمكان لا يخلو فعل منه...» (٣) وهكذا ربط النحاة الفعل بالزمن الفلسفي بإبعاده الثلاثة من جهة، وربطوه بوحدي المكان والحدث من جهة ثانية. وعلى هذا الأساس تعرض الفعل للدرس النحوي من حيث أزمانه الثلاثة ومن حيث وجداته الفلسفية الثلاث على مر العصور. وهذا التقسيم - بطبيعة الحال - يقوم على أساس الاعتبار بالصيغة الصرفية الشكلية، والزمن الفلسفي، غير عابئ بالزمن النحوي الذي ينسجم مع ما تؤديه الألفاظ المترابطة من الوظيفة الزمنية، فعندما «...نظر النحاة العرب في معنى الزمن في اللغة العربية، كان من السهل عليهم أن يحددوا الزمن الصرفي في أول وهلة، فقسموا الأفعال بحسبه إلى ماضٍ، ومضارع، وأمر، ثم جعلوا هذه الدلالات الزمنية الصرفية نظاماً زمنياً، وفرضوا تطبيقها على صيغ للأفعال من السياق كما يبدو من تسمية الماضي ماضياً، حتى حين يكون معناه في السياق الإستقبال» (٤).

وقد تراءى للبعض من خلال هذا النمط الذي جرى عليه تقسيم الفعل أن العربية فقيرة في الدلالات على الأزمنة المرتبة في الأبعاد الزمنية سواء في الاستقبال أو في الحال أو في الماضي، والحقيقة خلاف ذلك فإن للماضي صيغاً

(١) الإيضاح في علل النحو / ٨٥.

(٢) الفعل زمانه وأبنيته / ١٩.

(٣) المقتضب / ٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٤) اللغة العربية معناها وميناهما / ٣٤٢.

شاملة لأبعاد الماضي، وصيغاً أخرى متدرجة من الماضي القريب للحاضر إلى الماضي البعيد جداً، وهناك من الصيغ ما يعبر عن الماضي البسيط، والماضي المركب، وما ينطبق على الماضي، ينطبق على المستقبل أيضاً، وكذلك الحال. فالعربية في حقيقتها لا تنقصها هذه الظواهر التي أشرت إليها، غير أن البحث والتتبع والتفكير لها بعد لم يصل إلى المستوى الذي يزيل هذا الوهم عنها.

وقد استغل المستشرقون هذه الناحية التي لم تبحث بَعْدُ. فنفذوا من خلالها ليطعنوا العربية، فهذا سبتيانو موسكاتي يقول: «... واللغات السامية - ومنها العربية - نظام في تصريف الفعل يختلف اختلافاً تاماً عما في اللغات الهندية الأوروبية، فليس فيها إطلاقاً صيغ زمنية بالمعنى الصحيح، أي صيغ خاصة تدل على حدوث الفعل في الحاضر، أو الماضي، أو المستقبل، فهي لا تميز إلا بين الحالة والحدث، أي بين نشاط (مستمر أو اعتيادي) وحدث تَمَّ...» (١) فمن النص يدرك المتأمل أن هذا الباحث حكم على العربية في دلالتها الزمنية من خلال الصيغ الصرفية، لأنه لم يقع في تناول يده - على ما أظن - من البحوث ما يوضح له الدلالات الزمنية الدقيقة للجملة العربية. والزمن في الجملة العربية يأتي في الحقيقة «... على المستوى الصرفي من شكل الصيغة وعلى المستوى النحوي من مجرى السياق، ومعنى اتیان الزمن على المستوى الصرفي من شكل الصيغة. إن الزمن هنا وظيفة الصيغة المفردة. ومعنى أن الزمن يأتي على المستوى النحوي من مجرى السياق: إن الزمن في النحو وظيفة السياق وليس وظيفة صيغة الفعل...» (٢). هذا هو الهيكل الزمني الصرفي للغة الفصحى، ومنه يتضح أن صيغة (فعل)، وما يوازيها تدل على الماضي، وأن صيغتي (يفعل) و (افعل) وما جرى مجراهما، إما أن يدلان على الحال، أو على الاستقبال، فلا يعين لأي صيغة منهما أحد المعنيين إلا بقراءة موجودة في سياق الجملة، لأن السياق يضم من القرائن اللفظية والمعنوية، والحالية، والتاريخية ما يساعد على فهم

(١) الحضارات السامية القديمة ٤٦-٤٧.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها / ١٠٤-١٠٥.

الزمن في مجال أوسع من مجال صيغ الصرف المحدودة. وهكذا يكون نظام الزمن الصرفي جزءاً من نظام الزمن السياقي تمتد حدوده بدقة إلى كل ما يقصده العربي في مقاصده التعبيرية التي أهملت دراستها عبر العصور.

فالنحاة إذن كانوا قد بنوا تقسيم الفعل، واختلاف أوضاعه على الزمان الصرفي، وربطوا كل وزن بزمن معين، وحينما حاولوا تطبيق هذه الصيغ على أقسام في السياق، وجدوا الكثير من النماذج لا تقع تحت ما رسموا، وامتنعت على نظامهم الذي تصوروه، فاضطروا حينئذ إلى الحمل، والتأويل، والاعتذار هذا الاستعمال أو ذلك، بما ينطوي على البعد والخروج عن واقع اللغة. وكأنهم تعلقوا في درسهم للفعل بالأشكال، فما كان على صيغة (فعل)، يدل على الماضي، وما كان على صيغة (يفعل) يدل على الحال والاستقبال، ولم يتأملوا في ما وراء هذه الصيغ ليروا ما تشير إليه وظائفها السياقية من الدلالات الزمنية. فقد تدل الصيغ الصرفية على جزء من الزمن النحوي في سياق الجملة: وقد يعطي السياق للصيغة الصرفية مفهوماً زمنياً غير ما تدل عليه في (الوزن الصرفي).

فالفعل الماضي مثلاً - كما تدل عليه التسمية - يجب أن لا يستعمل في غير الماضي إذا التزمنا بتقسيم النحاة، لكننا نجد واقعه يخالف ذلك في الاستعمال، لأن دلالة الصيغة فيه إحدى الدلالات الكثيرة التي يشير إليها، فهو يشير في بعض استعمالاته إلى وقوع الحدث في زمن التكلم، كما في قول البائع: بعته. والمشتري: قبلت. في حين أن الفعل من ناحية الصيغة في إعرابه فعل ماضٍ، والفعل الماضي كما هو معروف: ما دل على حدث مضى.

والفعل المضارع كما هو معروف: بأنه الفعل الذي بني لما يكون ولم يقع، أي للمستقبل والحاضر، غير أن وظيفته هذه إحدى الوظائف الكثيرة التي يؤديها في السياق، فهو يدل على وقوع الحدث في الماضي، إذا قرن، (بلم) في نحو قول من يقول: لم يكتب التلميذ. وقد يستوعب الزمن بأبعاده الثلاثة في نحو:

وتقدرون فتضحك الأقدار.

إذ أن الزمن المتعين في هذا المثال، يقدره المتكلم بحسب الدلالة التي يطلبها من حديثه، فقد يقصد الماضي، أو الحال، أو المستقبل.

إذن علينا أن نتبين دلالة الفعل من خلال الاستعمال، وأن نفرق بين الزمن الصرفي الذي استولى على اهتمام النحاة الأقدمين، والذي قسموا الفعل بمقتضاه إلى ماضٍ، وحاضر، ومستقبل، وبين دلالة الفعل الزمني النحوي من خلال وظيفته في الجملة من المقارنات السياقية في الأساليب المختلفة.

ونحن حينما نحمل النحاة الأقدمين إغفال هذه الجوانب من الدرس النحوي، لا نعني أنهم لم ينتبهوا إليها، بل تعرضوا لها في مجالات لا تنتظم منهاجاً، ولا تشكل ظاهرة بارزة منتظمة كغيرها من الظواهر التي أولوها اهتماماً بالغاً. فهذا ابن هشام - كما أشرنا سابقاً - يتنبه إلى وظيفة الفعل في الاستعمال فيقول:

«أنهم يعبرون بالفعل عن أمور: أحدها: وقوعه وهو الأصل. والثاني: مشارفته - للوقوع - نحو: (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن، فأمسكوهن)»^(١).
أي فشاركهن انقضاء العدة. الثالث: إرادته: وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط.
الرابع: القدره عليه نحو: (وعدا علينا إنا كنا فاعلين)»^(٢)...^(٣).

وعلى هذا الأساس يمكن أن نخلص إلى أن الأفعال مواد لغوية ضرورية في تكوين الجمل والأساليب وهي أحداث تتضمن أزمنة مختلفة - في الأعم الأغلب - تناسب المعاني التي يقصدها المتكلم عند التعبير عن الماضي، أو الحال، أو المستقبل تتضح من خلال وظيفة السياق.

بمعنى أن أبتية (فعل) و(يفعل) و(أفعل) و(فاعل) لا يمكن أن تدل على الزمن بأشكاله وصوره ودقائقه الحقيقية إلا من خلال تركيبها ضمن الجمل. فقد تشتمل على قرائن تعين الفعل على تحديد الزمن بوضوح. وعلى هذا الأساس

(١) البقرة ٢ / ٢٣١.

(٢) الأنبياء ٢١ / ١٠٤.

(٣) معني اللبيب ٢ / ٦٨٨ - ٦٩٠.

يمكن أن نقسم الجمل إلى نوعين: الجمل التي لا تدل على الزمن، والجمل التي يراد بها الزمن.

الجملة الفعلية التي لا يقصد بها الزمن

ليس من الضروري أن يدل فعل الحال، أو المستقبل على حدث وقع في الزمن الحاضر أو المستقبل، وليس من الضروري أيضاً أن يعبر الماضي عن حدث وقع فعلاً في الزمن الماضي. وليس الزمان هو الصورة الوحيدة المرادة من الفعل. فإن الفعل قد يدل على محض تمام الحدث، أو عدم تمامه بصرف النظر عن إرادة الوقت الذي وقع فيه، فقد لا يحتاج الإنسان في بناء الجملة إلى المفهوم الدلالي الزمني، وإنما يحتاج إلى إثبات الحدث للموصوف.

إذن من التعسف، أن نطلب من كل تركيب مقرون بالحدث، المعنى الزمني، فهناك كثير من التراكييب لا يطلب فيها المتكلم أكثر من معرفة نسبة الحدث ووقوعه، وكأنه في ذلك أحال الأحداث إلى ما يقترّب من اتصاف المسند إليه في الجمل الإسمية.

وعلى ذلك فإن كثيراً من الأساليب لا يقصد فيها المتكلم أثناء الكلام وقتاً معيناً لحصول الأحداث فيها، إنما يقصد إلى معرفة حصول الحدث، أو إمكان حصوله، كالإستفهام، والنداء والتعجب، لأن مضمونها الفعلي - أي الأساليب - لم يقع على أساس التصور الذهني للأحداث، وذلك التصور الذي لا يحتاج في الغالب إلى زمن ما. كما أن بعض الأفعال لا يقصد منها الدلالة الزمنية كالماضي - مثلاً - لا يدل في بعض استعمالاته على الزمن، إنما يراد به «...إثبات الصفة فيما أسندت إليه بصيغة (فَعَلَّ) و(فَعَلَ) و(فَعِلَّ) دون إشارة تعرب عن الزمن الماضي نحو: كرم محمد، وحسن خلقه، وشرف زيد.

ونحو: عَرَجَ خَالِدٌ. وعود الرجل. فالمراد من ذلك الإخبار عن ثبوت الصفة فيما أسندت إليه من الأسماء، وليس في ذلك ما دل على زمن معين...»^(١).

(١) إسم الفاعل / ٦٥.

والفعل المضارع أيضاً لا يعرب عن الزمن إذا أريد به التعبير عن حقيقة نحو: تدور الأرض حول الشمس. تشرق الشمس. يضي البدو كلُّ حي يموت. أو عادة تعودها الشخص نحو: ينام زيد مبكراً. يحضر الطالب دروسه مساءً. أو عن تقليد اعتاده مجتمع ما نحو: يصوم المسلمون رمضان. يضفر البدو شعورهم.

وكذلك إسم الفاعل قد لا يقصد به الزمن، إنما يراد به مجرد ثبوت الصفة، وذلك إذا استعمل خالياً من اللواحق والقرائن نحو قولك. محمد عاقل. وزيد متواضع.

وكذلك الحال بالنسبة له - أي إسم الفاعل - إذا استعمل علماً لشخص، كأن تقول مثلاً: خالد مؤدب. ودلالة إسم الفاعل على الحدث المجرد من الزمن غالبية على استعماله الأخرى، لاسيما إذا استعمل - كما يرى بعض النحاة - بصيغة الفعل الدائم - أي الذي يستوعب الأزمنة بأبعاها الصرفية المعروفة - فإنه لا يراد به إلا مجرد إثبات اتصافه بالموصوف نحو قوله تعالى: ((مالك يوم الدين))^(١).

الجملة الفعلية الزمنية

هي الجملة التي يشير المسند فيها إلى زمن معين في الماضي، أو الحال، أو المستقبل نحو: زيد يقوم. ونجح الطالب. أو هي الجملة الفعلية التي يتحدد فيها الزمن بواسطة الصيغ، أو القرائن الفعلية، والظرفية، والحرفية، والمعنوية، والتاريخية.

نحو: لم يمت الحق. فدلالة الزمن هنا في هذه الجملة ماض، لأن (لم)، قلبت معناه إلى الماضي..

(١) الفاتحة ١ / ٤.

ونحو: يكاد المطر يسقط. فدلالة الزمن في هذه الجملة مستقبل، تحول للاستقبال بواسطة الفعل (يكاد).

ونحو: يسافر زيد الآن. فدلالة الزمن هنا في هذه الجملة حال تحددت بواسطة الظرف (الآن) ... الخ.

إذن من الواضح أن هذه القرائن التي تحتويها الجمل. لا يمكن أن نقول عنها أنها حشو لا فائدة منها، إنما يحدد وجودها دلالات الجمل من حيث الأبعاد الزمنية. وقد نجد هذه اللواحق مرفقة بأعلى النصوص فصاحة ونقاء كالقرآن الكريم، لتدل على الوظائف الزمنية من خلال السياق، فإن هذه المركبات ترتبط بالجمل لتعبر عن الزمن تعبيراً يختلف تحديداً أو تخصيصاً عما يعبر عنه بناء الفعل المفرد وحده.

فلو أخذنا (قد) - مثلاً - وربطناها ببناء (فعل)، دل التركيب في الجملة على معنى مخصص محدود، لا يمكن أن يدل عليه الفعل وحده. فحينما أقول: قد تفتحت الوردة فإن ذلك يعني أنها (تفتحت) في الماضي القريب. وهكذا في بقية الحروف واللواحق، فإنها تفيد في المعنى «...» ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه، نحو: إن يجيء بـ (ما) في نفي الحال وبـ(لا) إذا أراد نفي الاستقبال وبـ (أن) فيما يترجح بين أن يكون، وأن لا يكون...» (١) ومن هنا نستطيع القول: أن دلالة زمن الجملة يتعين بالأينية الصرفية قليلاً، وبالقرائن كثيراً، وعلى هذا نجمل الدلالات الزمنية في الجمل فيما يأتي:

١- في الصيغ الصرفية (moods)، التي هي صيغ الأفعال مفردة خارج السياق.

فإذا دخلت السياق، أفادت تحديداً زمنياً معيناً قاطعاً، إذا لم تدخل عليها

(١) دلائل الإعجاز / ٦٤.

لواحق تغير مدلولها فصيغة (فعل) تفيد وقوع الحدث في الزمن الماضي وصيغة (يفعل) تفيد وقوع الحدث في الحال، أو الاستقبال وصيغة (أفعل) تفيد وقوع الحدث في الاستقبال.

٢- في القرائن اللفظية السياقية :

والقرائن تشكل عنصراً مهماً في نظام السياق، وعن طريقها يتحدد القسم الأكبر من العلاقات الزمنية النحوية، وعلى هذا الأساس لا مفر من النظر إلى اللواحق التي تعطي الجملة خصوصيات زمنية معينة، لا تدل عليها الأوزان الفعلية وحدها.

ويمكن أن نجدها في:

أ- الصفات أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر، والخوالب.

ب- الظروف الزمنية التي تقترن في الجمل مثل: إن شاء الله، الآن.

ج- الزمن المستفاد من الأسماء التي تنقل إلى معنى الظروف. ونستعمل استعمالها، ومن هذه الأسماء، المصادر التي تبين الأوقات نحو : أتيتك قدوم الحاج. وأسماء الزمان نحو: أتيتك مقدم الحاج. بعض الأسماء المبهمة الدالة على أوقات، أو ما أضيف إليها كأسماء المقادير نحو: كم ساعة بقيت هناك؟ . وأسماء الأعداد نحو: مكثت خمسة عشر يوماً. وأسماء الأوقات، كحين، ووقت، وساعة، وبعض أسماء الأزمنة المعينة كالآن، وأمس، وسحر، ومساء، وضحوة...الخ.

٣- في القرائن المعنوية والتاريخية :

نحو قوله تعالى : «ونفخ في الصور» (١) فإن المعنى يدل على ما يستقبل من الزمان، لأنه مرتبط ذهنياً بيوم القيامة. ونحو قولك : خالد بن الوليد يدرك

(١) الكهف ١٨ / ٩٩.

خطط الأعداد. فإن ذلك يعني أن (خالداً) (رض) كان قد أدرك ما خطط الأعداء في الماضي فأدى إلى إنتصاره في المعارك.

خلاصة ما تقدم في الجملة:

مما تقدم ندرك أن الجمل قسمان :

أ- الجمل التي لا يراد بها الزمن وهي الجمل الإسمية، والظرفية المكانية، والفعلية التي تعبر عما يثبت أتصاف المسند إليه بالمسند.

ب- الجمل الزمنية، وهي الإسمية المرتبطة بالقرائن التي تدل على الزمن، والجمل الظرفية الزمنية، والجمل الفعلية التي يشير فيها المسند إلى الزمن، أو التي ترتبط بها قرائن خارجة عن نطاق الإسناد، لفظية أو معنوية تشير إلى الزمن.

الفصل الثالث

الجملة الماضية

الفصل الثالث الجملة الماضية

١- وظيفتها

٢- أنواعها

٣- مكوناتها التي تفيد الماضي

(١) وظيفتها في الماضي :

الماضي تاريخ وحياة، لا يمكن أن يعرفها الإنسان الحاضر، أو الذي يأتي في المستقبل إلا بواسطة النقل، وهذا النقل لا يتم إلا عن طريق اللغة، لأنها على اختلاف أنماطها ووسائلها الجسر الذي تعبر عليه أحداث الماضي لتصل إلى الحاضر أو المستقبل. ومن هنا يدرك الدارس ما للجملة الماضية من أهمية فيما تحتويه من معاني الحياة على مر الزمن من القديم حتى العصر الحاضر، وكلما امتد سلم الزمن، إزداد فيض الجملة الماضية بالحياة المعبرة التي لا غنى للإنسان من دونها، واللغة العربية كغيرها من اللغات الحية التي استوعبت حياة أمتها الماضية، وكانت الوسيلة إلى هذا الاستيعاب هي الجملة الماضية التي عبرت عن حياة العربي بمختلف ظروفه وملابساته التي عكست خوالج نفسه، ولذلك فمن وظائفها ما يأتي:

١- تعبر جملة الماضي عن وقوع الحدث في الماضي الذي لا حدود له في حيز من فسخ الزمن الماضي، فنحن لا نستطيع ضبطه وتحديدته، فقد يكون قريباً، وقد يكون بعيداً، وقد يكون مستوعباً للزمن بأكمله، وقد يقع في جزء منه،

فالزمن في مثل هذه الجمل ماض مجهول نحو قولك: سافر زيد. مات
الانبياء.

وغالباً ما يكون التعبير عن هذه الجمل بصيغة (فعل) لأنها صيغة تدل على
مجمل الماضي حتى تأتي قرينة تحدد زمنه وتخصصه.

٢- تعبر جملة الماضي عن حدث وقع في الزمن الماضي، وانجز، واستمر على حاله
هذه حتى زمن الكلام عنه. كقوله تعالى: «صراط الذين أنعمت عليه»^(١).
وقوله تعالى: «أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»^(٢). فإن الانعام حاصل
لهؤلاء الذين خصهم سبحانه به، ولم يزل حاصلًا إلى وقت الكلام. ونلمح
من هاتين الآيتين أن الحدث بدأ بظهور الإسلام واستمراره فكأنما هو
يستغرق مدة امتداد الإسلام ووجوده بكاملها.

٣- تعبر جملة الماضي عن حدث وقع في زمن ماض يقرب من زمن التكلم كقول
مقيم الصلاة: قد قامت الصلاة. وقوله تعالى: «قد سمع الله قول التي
تجادلك في زوجها»^(٣). ونفي هذا النوع من الجمل يكون بـ (لما يفعل).
وكذلك إذا سبقت الجملة بـ (ما) النافية، يكون الزمن فيها قريباً من الحال.
كان يقول أحد: قد سافر علي. فإذا أردت نفي: قوله قلت: ما سافر علي.

٤- تعبر جملة الماضي عن وقوع حدثين في الماضي، بحيث يتم الأول في اللحظة
التي يبدأ فيها الحدث الثاني. وهذه الجملة تكون مع الظرف (لما)، نحو:
عندما، حينما، (لما جئتني، أكرمتك).

٥- تعبر جملة الماضي، عن الحدث الموقل في الماضي، وخاصة إذا كانت بصيغة
(كان فعل، كان قد فعل، قد كان فعل) وقد فَعَلَ فهذه الصيغ تستعمل لتعبر
عن وقوع الحدث في زمن ماض بعيد نحو قول زفر بن الحارث:

(١) الفاتحة / ١ / ٧.

(٢) البقرة / ٢ / ٤٠.

(٣) المجادلة / ٥٨ / ١.

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لاقينا جذاماً وحميراً

وقوله تعالى: «وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه»^(١).

ونحو قول البحري:

وكانت قد أغبرت رباها وأظلمت جوانب قطريها وبان إختلالها.

وهنا نلاحظ أنه إذا اجتمعت قرينتان تدلان على الزمن، فغالباً ما يتحدد زمن الجملة بحسب دلالة القرينة الأقوى وإن تأخرت. أو بحسب القرينة المتقدمة إن كانت أقوى أو مساوية لما بعدها في الدلالة الزمنية.

٦- تعبر جملة الماضي عن حدث ماض قريب من الحال التي وقع فيها سابق له نحو: ثم قمت إلى وطب وقد ضربه يرد الشتاء. وقوله تعالى: «فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير»^(٢). فإن هذه الجملة من الآية جواب إلى الجملة السابقة فيها «... أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير...».

٧- تعبر جملة الماضي عن سرد أحداث ماضية كما يحدث في الحكايات والقصص، وذلك إذا كان يتصدر هذه الجمل (كان) أو إحدى أخواتها في صيغة الماضي متلوة بأفعال من صيغة (يفعل) نحو:

كان خالد يتصدق على الفقراء، وكان يزود عن الإسلام. أو كان الفعل في هذه الجمل آتياً بصيغة الماضي المجرد، كما نلاحظ ذلك بوضوح في سورة يوسف (ع) نحو: «وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا: يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب... وجاءوا على قميصه بدم...»^(٣).

٨- تعبر جملة الماضي عن استمرار الحدث في الماضي ممتداً إلى زمن الحاضر ولك مع الأفعال (مازال، مابرح، مافتىء : ماانفك، مادام) متلوة بأفعال من

(١) البقرة ٢ / ٧٥.

(٢) المائدة ٥ / ١٩.

(٣) يوسف ١٢ / ١٦ و ١٧.

صيغة (يفعل). أو بأسماء الفاعلين، أو الصيغ المشتقة الأخرى كاسماء
الفاعيل نحو: «ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه
قائماً...» (١). ونحو: «فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً
خامدين...» (٢).

(٢) أنواع الجملة في الدلالة على الماضي :

حينما نريد دراسة الدلالات الزمنية للجملة الماضية، علينا أن ننظر إلى
الجملة الخبرية المثبتة، والمؤكدّة، والمنفية. فلما نسب النحاة المضي دائماً إلى صيغة
(فعل) وما يلحق بها، نظروا في الجملة الخبرية المثبتة والمؤكدّة، فلاحظوا أن هذه
الدلالات الزمنية لم تتأثر تأثراً كبيراً بتغير مفاهيمها من خلال علاقاتها في
السياق. ولكن عند نظرهم إلى الجملة المنفية، وجدوا المضارع المنفي قد يدل على
المضي. فسهم إذن قد لاحظوا هذا التغيير سواء كان من خلال الصيغ الصرفية، أو
كان من خلال نتيجة اقتران الأدوات المختلفة بهذه الصيغ، ونحن إذا ما راقبنا
الاستعمالات العربية الفصحى في اللغة العربية، وجدنا أن بناء جملة الماضي -
بناءً على مقاييسهم - تتكون من الأزمنة التالية سواء عن طريق الصيغ كما
تقدم أو عن طريق القرائن المتصلة بها وهي:

١- جملة الماضي البسيط :

وهو الماضي الذي لم يلحق بقريضة معنوية، أو لفظية تحدد زمنه، وعلى ذلك
فزمنه عام يستغرق الماضي من دون تحديد على اختلاف فسحة الزمنية. وتكون
صيغته (فعل) نحو: كتب، ذهب.. الخ وهو منقطع عن الحاضر، وقد يكون
انقطاعه لفترة قصيرة. وتوكيده (لقد فعل)، و(أنه فعل). واستفهامه (هل فعل أو
أفعل).

(١) آل عمران ٣ / ٧٥.

(٢) الأنبياء ٢١ / ١٥.

٢- جملة الماضي البعيد المنقطع :

وتتعين بصيغة (كان قد، أو قد كان) متلوة بصيغة (فعل). وهذا ما يراه الدكتور المخزومي من أن صيغتي (كان قد فعل) أو (قد كان فعل). وما جرى مجراهما، تستعملان للتعبير عن وقوع حدث في زمان ماض بعيد، ومن ذلك قول أبي تمام:

قد كان بواه الخليفة جانبا من قبله ضرما على الأقدار

وقول البحري:

وكانت قد أغبرت رباهما وأظلمت جوانب قطريها وبان إختلالها

وتؤكد هذه الصيغة بقولك: (إنه كان قد فعل).

وتنفي بقولك (لم يكن قد فعل).

٣ - جملة الماضي المتجدد:

وهو الذي يحدث في الماضي ، ثم يتجدد وقوعه مرات في الماضي وينقطع، وقد يكون انقطاعه هذا قريبا من الحال، أو بعيداً عن الحال، ومثاله: (كان يفعل)، نحو: كان الطالب يدرس، وتوكيده: (لقد كان يفعل) ونفيه: (ما كان يفعل)، أو (لم يكن يفعل)، أو (كان لا يفعل) واستفهامه: (هل كان قد فعل).

٤ - جملة الماضي المنتهي بالحاضر:

إن هذه الصيغة تستعمل للتعبير عن وقوع حدث في زمان ماض قريب من الحال نحو: قولنا: قد أقبل خالد من سفره.

قال ابن هشام: «...وتفيد...تقريب الماضي من الحال، تقول: قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والماضي البعيد. فإن قلت: قد قام، اختص بالقريب...» (١).

(١) مغني اللبيب ١ / ١٧٢.

ونقي هذه الصيغة يكون بقولنا: (ما فعل) أو (لما يفعل). وتوكيدها بقولنا: (لقد فعل). قال ابن عصفور... إن القسم إذا أجيب بماض متصرف، ثبت. فإن كان قريباً من الحال، جيء (باللام وقد) جميعاً نحو: تالله: لقد آثرك الله علينا (١) ... (٢).

٥- جملة الماضي المتصل بالحاضر: (ما زال يفعل).

وتكون بالأفعال الناسخة المساعدة (ما زال، ما فتىء، ما برح، ما انفك، مادام). وهذه الأفعال تتقدم على الفعل المضارع، فيكون خبرها، ويدل حينئذ على الماضي الذي يتصل بالحاضر، وعلى هذا تكون هذه الصيغة حلقة وصل بين الماضي والحاضر. لأنها تربط الحدثين، ويكون توكيدها بـ (أنه ما زال يفعل). ونفيها: (لما يفعل). واستفهامها: (أما زال يفعل؟).

٦- جملة الماضي المستمر: (ظل يفعل).

وهذه الصيغة تبدأ بأفعال (ظل، بات، أمسى، أضحى) وتفيد الماضي المستمر إلى الحاضر، وربما تستمر إلى المستقبل، وتوكيدها (لقد ظل يفعل)، ونفيها (لم يفعل). نحو: أمسى الطالب يدرس. وأضحى الحق ينطق. وبات الشعب هائناً. واستفهامها (هل ظل يفعل؟).

ولا تقصد هنا بالمستمر أن يستمر إلى زمن الحاضر، إنما تدل صيغته على أن الحدث استمر لفترة في الماضي، قد تقترب من الحاضر، أو قد تباعد عنه.

٧- جملة الماضي المقارب:

وتستعمل معها أفعال مساعدة هي (كاد، أوشك، أكره). وقد وضعت هذه الأفعال للدلالة على قرب وقوع الخبر. ولا تدل هذه الأفعال على الماضي القريب

(١) يوسف ١٢ / ٩١.

(٢) مغني اللبيب ١ / ١٧١.

من الحاضر، إنما تدل على أن الحدث قريب وقوعه لكنه لم يحدث سواء كان ذلك الحدث في الماضي البعيد أو القريب. إذن هي (أي الأفعال المساعدة) تدل على أن الحدث لم يحصل. وتوكيد هذا الحدث يكون بـ (لقد كاد يفعل). ونفيه بـ (لم يكد يفعل). واستفهامه بـ (هل كاد يفعل؟).

٨- جملة الماضي الشروعي:

ومنه الأفعال المساعدة (أنشأ، طفق، جعل، علق، أخذ). ومعنى الشروعي أن الحدث بدىء العمل به، ولم يزل زمن عمله مستمراً في نحو: قوله تعالى: «وظفقا يخصفان» (١). وقوله تعالى: «فطفق مسحاء» (٢). وتوكيده (لقد طفق يفعل). ونفيه (ما فعل). واستفهامه (هل طفق يفعل؟).

٩- جملة الماضي البعيد : (كان فعل).

وهو الذي يحدث في زمن بعيد، وتقطع صلته بالحاضر، وهذا الماضي قد تمتد فترته لزمن طويل أو قصير، وقد يعبر أحياناً عن جملة الزمن في الماضي، نحو قولك:

كان أرسل محمد (ص) إلى البشرية كافة.

وتوكيد هذا الزمن بـ (لقد كان فعل). ونفيه بـ (لم يكن فعل). واستفهامه بـ (هل كان فعل؟).

ومن الملاحظ أن هذه التغيرات الزمنية تأتي - في أغلبها - من استعمال الأدوات سواء أكانت هذه الأدوات حرفية كما في (قد)، أو فعلية كما في الأفعال النواسخ (كان) و(ما زال وأخواتها) و(كاد وأخواتها) و(أنشأ وأخواتها) و(ظل وأخواتها).

(١) الأعراف ٧ / ٢٢.

(٢) ص ٣٨ / ٣٣.

أما التوكيد، فإنه لا يغير في الصيغ شيئاً، إنما يحصل بـ (لقد، وأنه). أي بإضافات جديدة للجملة.

ويتضح مما تقدم أن الجملة الخبرية المؤكدة والجملة المثبتة لا فرق بينهما من حيث الزمن وإنما يكون الفرق بينهما مقتصرأ على تأكيد مضمون الجملة وعدمه.

أما الجملة الخبرية الماضية المنفية، فإن الغالب فيها هو استعمال المضارع للدلالة على الماضي، لأنه هو الذي يضم أكثر أدوات النفي (لم، لما، ليس، ما، لا، لن) فكل هذه الأدوات تأتي لنفي صيغة المضارع الصرقي، ولا تنفي صيغة (فعل) منها إلا (ما). وعلى هذا الأساس تغير صيغة (فعل) في النفي إلى (يفعل). نحو لم يكن قد سقط المطر. ولم يزل الطلاب يجدون... الخ.

بهذا نرى أن الزمن وظيفته في السياق لا ترتبط بصيغة صرفية معينة دائماً وإنما تختار الصيغة التي تتوافر لها القرائن التي تساعد على تحميلها معنى الزمن المعين المراد في السياق... ولعل الجمل الاستفهامية هي المنفردة من بين الجمل التي تتوافر فيها دلالة الصيغة صرفياً ونحوياً ضمن السياقات، فيدل فيها (فعل) على الماضي بحسب القرائن في أغلب التراكيب.

والملاحظ أن الجمل الاستفهامية هنا قد بنيت على الاثبات بمعنى أنها اتخذت أسلوب الجملة المثبتة نقطة ابتداء لها فكثير فيها استعمال (هل)، لأنها تدخل على الفعل، وقل فيها استعمال الهمزة لأنها تدخل على الأدوات.

مكونات الجملة التي تفيذ الزمن الماضي في السياق

أولاً - بالصيغ :

أ - الصيغ الصرفية للفعل:

وهنا يمكن أن نقول: إن صيغة الماضي الصرفي للفعل التام المتصرف سواء كان مجرداً، أو مزيداً يمكن أن تخدم وظيفة السياق في الدلالة على الزمن الماضي لاسيما ما يخص الماضي البسيط الذي يعبر به عن حالات زمنية ماضية غير محدودة في فترة معينة في الماضي. فالتكلم في الماضي البسيط يقصد الزمن بشكله العام الماضي، لأنه يركز على الحدث أكثر مما يركز على الزمن في القصد، فحينما يقول - مثلاً - : كتب زيد. فإنما يخبر عن وقوع الكتابة في الزمن الماضي بشكله الجمل. لا تحديد الزمن في فسحة من فسخ الماضي بالذات. وعلى ذلك فالصيغة الصرفية هنا تنسجم فيها البنية والوظيفة (أي الدلالة على الزمن).

وهذه الصيغة على بساطتها وقلتها من بين صيغ الماضي التسع الأنفة الذكر، تعد الأساس في أسلوب التعبير بالحديث والكتابة في مجال الاستعمال.

ب - أسماء الأفعال :

وأسماء الأفعال هي صيغ حافظت على حال واحدة من حالات البناء الصرفي ودلت في الكثير منها على التعبير عن الزمن الماضي من ذلك (هيهات) بمعنى : بعد، وشتان بمعنى: افترق. قال الشاعر:

فهيهات هيهات العقيق ومن به هيهات خل بالعقيق تواصله^(١)

وقال الراجز لقيط بن زرارة :

شتان هذا والعناق والنوم والمشرب البارد في ظل الدوم^(٢)

(١) أنظر الشيرازيات ٢٠، ٣٥/٣٤٤، ٥١٨.

(٢) أنظر شرح شذور الذهب ٤٠٢-٤٠٣.

واستعمال أسماء الأفعال في الدلالة على الماضي - في نظري - إنما يحمل على الماضي (البسيط فهو لا يختلف عنه في هذا المجال).

ثانياً - بالقرائن :

١- القرائن التاريخية في الجملة:

القرائن التاريخية لها أهمية كبيرة في الدلالة على الماضي فهي تحدد في الأعم الأغلب زمن هذا الماضي فحينما أقول، مثلاً قد كتب الرسول (ص) إلى ملك الروم كتاباً، فالتاريخ يتدخل ليحدد فترة هذا الماضي، لأن تحدد الزمن في سياق الجملة بالتاريخ يكون أقوى من القرائن اللفظية. وعلى ذلك فإن قولي في المثال السابق: قد كتب الرسول (ص) إلى ملك الروم كتاباً. فيه قرينة تاريخية نقلت الماضي القريب إلى الماضي البعيد وهذا يشير بوضوح إلى أن القرائن على اختلافها يكون بعضها أقوى من البعض من ذلك قوله تعالى : «... كلما جاء أمة رسولها كذبوه...»^(١).

فالقرينة التاريخية وهي تتالي الرسل، في الأزمان المعروفة لدينا، أقوى من الماضي المجهول الزمن.

٢- القرائن المعنوية في الجملة:

إن البناء الصرفي الواحد للكلمة، يفيد غالباً أكثر من معنى، وربما أفاد معاني كثيرة. ويمكن أن نسمي هذه الظاهرة بـ (تعدد المعنى الوظيفي للبناء الواحد).

وعلى هذا الأساس، إذا نظرنا في نص بعينه، علينا أن نحدد أي المعاني التي تشير إليها (كلمة) بعينها في ذلك النص. وعلى هذا تتكون هنالك أبواب واسعة يحتويها السياق تسمى القرائن المعنوية. ومن هذه الأبواب الدلالات المعنوية التي تشير إلى الزمن على اختلاف أنماطه بواسطة الكلمات التي تستعمل استعمال الظروف أو استعملت استعمالها. من هذه الكلمات على سبيل المثال لا الحصر

(١) المؤمنون ٢٣/٤٤.

(المصادر) نحو: أتيتك طلوع الشمس. وصيغ إسم الزمان نحو: قرأت مطلع الفجر. فهذه المعاني الجديدة التي تضمنتها الصيغ قرائن معنوية تحدد الزمن من خلال الاستعمال.

ومن القرائن المعنوية أيضاً المدركات العقلية التي تدل على الماضي من ذلك قوله تعالى: «وقلنا: يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة. وكلا منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين...»^(١). وقوله: «يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي...»^(٢) فالقرينة المعنوية تدل على أنهم (ما سكنوا) و(ما ذكروا) و(ما وفوا) في الماضي. فنحن نلاحظ من الآيتين أن هناك قرائن معنوية مدركة بالعقل تشير إلى الزمن. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق»^(٣). ومنه قوله: «ويستفتونك في النساء. قل: الله يفتيكم فيهن، وما يتلى عليكم في الكتاب...»^(٤).

٢- القرائن اللفظية في الجملة:

أ - النواسخ:

تقصد بالنواسخ - كما أشرنا إليها من قبل - كان ومثيلاتها، وما زال وأخواتها، وظل وأخواتها، وكاد وأخواتها، وأنشأ وأخواتها.

وقبل أن نتحدث عن دلالة هذه النواسخ على وظيفة المضي من خلال السياق، نود أن نشير إلى ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس صاحب كتاب (من أسرار اللغة) (٥) من أنه أشار في أحد النصوص إلى أن ما جاء في القرآن الكريم من استعمال (كان) ومقداره يربو على (٤٠٠) من الآيات لا يشير بوضوح إلى معنى المضي في الفعل إلا في عدد قليل من هذه الآيات. غير أنه يشير في نص آخر إلى أن

(١) البقرة ٢ / ٣٥.

(٢) البقرة ٢ / ٤٠.

(٣) آل عمران ٣ / ١٠٨.

(٤) النساء ٤ / ١٢٧.

(٥) من أسرار اللغة / ١٠٤.

النحاة أشاروا إلى دلالة الزمن الماضي (لكان في القرآن الكريم). وعلى هذا الأساس نلاحظ أن الدكتور أنيس قرر أولاً: أن النحاة أشاروا إلى الماضي في استعمال (كان) على اختلاف أوضاعها، وثانياً: يعترف هو بالقليل من الاستعمالات على هذه الدلالة الزمنية. ومن هنا فرأيه يتدافع بعضه مع البعض ثم يبطله الوضوح الصريح لاستعمال (كان) ودلالاتها على الماضي في القرآن. وبناء على ذلك يمكن أن نقول: إن (كان) تدل من خلال السياق على الاستعمال الماضي الوظيفي مجرداً من القرائن التاريخية أو المعنوية.

وبعد هذه التعليقة السريعة حول رأي الدكتور: نرجع إلى حديثنا عن النواسخ عامة فنقول: إنها تدل على الإعراب عن استمرار الحدث في فترة من الزمان الماضي حين تلحق بالمضارع نحو قولك: كان النبي (ص) يوصي بمعاملة الجار بالحسنى.

وأمسى المطر ينهمر. وبات الحارس يجول. وطفق البلبل يفرد. إذن يلحظ الدارس أن صيغتها حين تكون بلفظ الماضي، وخبرها جملة فعلية مضارعة، لا بد من أن يماثلها زمن هذا المضارع فينقلب ماضياً عند عدم وجود مانع، أو قرينة تمنع ذلك.

ففي الأمثلة المتقدمة يكون زمن المضارع (يجول) و(يفرد) ماضياً مع أن الفعل مضارع ولكنه انقلب إلى ماضٍ بالوظيفة من خلال السياق وهذا شأن كل الأفعال الأخرى التي تأتي أخباراً للنواسخ.

والجدير بالذكر أن هذه النواسخ، لا يصح أن تأتي الأخبار معها أفعالاً ماضية ما عدا (كان) فإنها يمكن أن يخبر عنها بالجملة الماضية، لأن (كان) مع الإسم والخبر، تفيد إتصاف إسمها بمعنى خبرها إتصافاً مجرداً في زمن يلائم بنيتها، أو بنية المذكور في الجملة من مشتقات مصدرها. وعلى هذا الأساس. فهذه النواسخ في دلالتها تحاكي الأفعال المساعدة في اللغة الإنكليزية على وجه الخصوص.

ب - الأفعال التامة المتصرفة:

وهذه القرائن كثيرة تشكل جزءاً مهماً من التعبيرات السياقية في اللغة العربية، وهي تشمل آيات كثيرة من سور القرآن الكريم وفي مقدمة هذه القرائن التي تسمى الأفعال التامة، والتي يمكن الالتفات إليها، الفعل (قال) في نحو قوله تعالى:

«...فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء...»^(١). وقوله: «قال: يا آدم: أنبئهم بأسمائهم...»^(٢). وقوله: «...وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو...»^(٣). وقوله: «قال: إنه يقول: إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض...»^(٤). مما تقدم من سير السياقات في الآيات نلاحظ أن هذا الفعل (قال) قرينة نطقت على طريقة الحكاية والحوار، وجاء بعدها من الأفعال ما اكتسب دلالتها من وظيفة المضي.

ج - الظروف:

والظروف قرائن تتضمن معنى المفاعيل فيها، أي أنها تشير إلى الأزمان التي تقع فيها الأحداث، ويهمنها منها هنا ما يحدد زمن الماضي في سياق الجمل عند الاستعمال.

نحو قوله تعالى: «فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِهِ»^(٥). أي لماذا قتلتم. فالزمن هنا مترشح للمضي من قرينتين، إحداهما قرينة المعنى التي تدل على أنهم قتلوا أنبياء الله - ونستطيع أن نقول عنها أنها قرينة تاريخية سبقت نزول هذه الآية - والثانية قرينة ظرفية تحددت بقوله (من قبل). ومن هنا نستطيع أن نقول: إنه كثيراً ما تتعاون قرائن عديدة على تحديد معنى الزمن. ومهما يكن من أمر فإننا سنتناول القرائن الظرفية التي تدل على الزمن الماضي وأهمها ما يأتي:

(١) البقرة ٢ / ٣١

(٢) البقرة ٢ / ٣١.

(٣) البقرة ٢ / ٣٥

(٤) البقرة ٢ / ٧١.

(٥) البقرة ٢ / ٩١

قال الفارسي في قط «فهو إسم ينتظم أول وقت ذي الوقت إلى آخر ما بلغه منه فهو عبارة عن أمده ومدته فوجب لذلك أن يكون مضافاً إلى ذي الوقت... فلما اقتطع عن الإضافة بني على الضم...» (١). وقول الفارسي هذا يدل على أن (قط) تدل على الحدث الماضي من أول وقوعه إلى نهاية تمامه. كما تدل على المقدار الزمني (المدة الزمنية) الذي يستغرقه هذا الحدث عند وقوعه. ويؤيد ذلك ما قاله ابن هشام من أن (قط) «...تكون ظرف زمان لاستغراق ما مضى... وتختص بالنفي، يقال ما فعلته (قط) فمعنى ما فعلته (قط) ما فعلته فيما انقطع من عمري لأن الماضي منقطع... وبنيت لتضمنها معنى (مذ وإلى) إذ المعنى : مذ إن خلقت، أو مذ خلقت إلى الآن...» (٢). ومما تقدم يلحظ المتأمل أن (قط) تفيد الماضي المستمر إلى وقت الحاضر (أي الحديث). كما أنها تأتي بعد الماضي الصرفي صيغة، داخله عليه (ما) النافية فتأكد مضيه، فكانها في استعمالها السياقي، تأكيد لصيغة الماضي المنفي. فهي من هذه الناحية قرينة ثانية تكون في سياق الجملة الماضية لتكسبها قوة وتأكيداً في الماضي مع الاستغراق في النفي.

٢ - أمس:

(أمس) إسم، وهو إسم زمان لليوم الذي قبل يومك مباشرة، أو ما في حكمه عند إرادة التقريب، ويستعمل مقترناً بـ (أل) التي تفيد التعريف، أو من دون أن يقترن بها.

تقول: ما رأيت الصديق أمس. إذا كنت لم تعهد رؤيته في اليوم الذي سبق ليومك الحالي مباشرة... فإن لم تره يوماً قبل أمس، قلت: ما رأيت مذ أول من أمس. فإن لم تره مذ يومين قبل أمس، قلت: ما رأيت مذ أول من أول أمس، ولا يقال إلا ليومين قبل أمس...» (٣).

(١) الشيرازيات ٢ / ٢٥٤. وانتظر لسان العرب (قطط) ٧ / ٢٨١

(٢) مغني اللبيب ١ / ١٧٥، والإعراب عن قواعد الإعراب ٧ /

(٣) النحو الوافي ٢ / ٢٦٤ - ٢٦٥

ويستخلص مما تقدم من استعمال (أمس) أنه يحدد المعنى الزمني السياقي للجملة بالماضي القريب المحدد، فأما أن يبتعد عن الحاضر بيومين أو يسبق الحاضر بيوم ويتصل به. بالإضافة إلى ذلك أنه يدل على الماضي غير المحدد إذا أعرب. قال صاحب الشذور:

«... إذا أريد بأمس يوم من الأيام الماضية... أعرب...»^(١).

٣ - مذ. منذ :

وهما ظرفان يستعملان للزمن الماضي، وتقع بعدهما جملة إسمية، أو فعلية ماضوية. نحو: جئت مذ، أو منذ الوالد حاضر. وجئت مذ حضر أبوك. ومن هنا يتعين الزمن في الجملة الإسمية للماضي، ويؤكد الصيغة الصرفية في دلالتها على الماضي.

فأما (مذ) فيأتي بعدها الإسم مرفوعاً على معنى، ومجروراً على معنى آخر «فإذا رفعت فهي إسم مبتدأ، وما بعدها خبره، غير أنها لا تقع إلا في الابتداء لقلة تمكنها، وأنها لا معنى لها في غيره، وذلك قولك: لم آت مذ يومان... إنك قلت: لم آره، ثم خبرت بالمقدار والحقيقة والغاية.

فكأنك قلت: مدة ذلك يومان. والتفسير بيني وبين رؤيته هذا المقدار...»^(٢). وهذا يعني أن (مذ) إذا كانت مبتدأ يكون بعدها خبر يحتوي المدة الزمنية التي حصل فيها الإنقطاع، والتي تعني بدايتها تمام الحدث، أما إذا كانت حرفاً، فإن ذلك يعني أن الحدث يمتد بها إلى وقت الحال التي يتحدث فيها المتكلم... إذا قال: أنا أراك مذ سنة فإنما المعنى أنك في حال رؤية لم تنقض، وأن أولها مذ سنة، فلذلك، قلت: أراك لأنك تخبر عن حال لم تنقطع...»^(٣).

أما (منذ) فمعناها - أن جر ما بعدها، وأن ارتفع - واحد لأنها بمنزلة (من)

(١) المقتضب ٣ / ٣٠

(٢) المقتضب ٣ / ٣٠

(٣) المقتضب ٣ / ٣٠، ومعاني الحروف ١٠٣، ١٠٤

في إبتداء الحدث وإستمراره إلى وقت الحال. قال المبرد: «فأما منذ فمعناها - جررت بها ، أو رفعت- واحد وبابها الجر لأنها في الأزمنة لإبتداء الغاية بمنزلة (من) في سائر الأسماء، تقول: لم أرك منذ يوم الجمعة أي بهذا لإبتداء الغاية...»^(١).

وإن جاءت بعد (مذ ومنذ) جملة فعلية سواء قدرت الفعل بمصدر مجرور أو بمصدر مرفوع، فإنما يكون ذلك التقدير حسب القصد الذي يرومه المتكلم من السياق.

٤- إذ :

وهي ظرف للزمن الماضي في أكثر استعمالاتها - وقد تكون للمستقبل إذا رفقت بقرينة - وهي مبنية إذا جاءت متفردة، ومعربة مجرورة إذا جاءت مضافاً إليها نحو قوله تعالى: «وأنتم حينئذ تنظرون...»^(٢). وإذا جاءت متفردة، التزمت الإضافة إلى جملة إسمية: نحو قوله تعالى: «وأذكروا إذ أنتم قليل...»^(٣). ونحو قوله: «...إذهما في الغار...»^(٤). وإلى جملة فعلية، صدرها فعل ماض لفظاً ومعنى. نحو قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة...»^(٥). وقوله: «وإذ ابتلى إبراهيم ربه...»^(٦). وقوله: «وإذ غدوت من أهلك...»^(٧). أو يكون صدرها فعلاً مضارعاً في الصيغة، لكنه ماض في السياق نحو قوله تعالى: «...وإذ يرفع إبراهيم القواع...»^(٨). وقوله: «إذ يمكر بك الذين كفروا»^(٩).

(١) المقتضب ٣ / ٣٠، ومعاني الحروف ١٠٤.

(٢) الواقعة ٥٦ / ٨٤

(٣) الأنفال ٨ / ٢٦

(٤) التوبة ٩ / ٤

(٥) البقرة ٢ / ٣٠

(٦) البقرة ٢ / ١٢٤

(٧) آل عمران ٣ / ١٢١

(٨) البقرة ٢ / ١٢٧

(٩) الأنفال ٨ / ٣٠

ويتبين مما سبق من الآيات والأمثلة أن الدلالة السياقية فيها تشير إلى الماضي، والقرينة الدالة على ذلك هي (إذ) التي بمعنى (حين) أو (وقت).

هـ - إذا : في دلالتها على الماضي :

يرى ابن هشام أن (إذا) «...تجيء للماضي... كقوله تعالى : «...إذا ما أتوك لتحملهم، قلت : لا أجد ما أحملكم عليه تولوا (١) و (إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) (٢). وقوله:

وندمان يزيد الكأس طيباً سقيت إذا تغورت النجوم» (٣)

وتحن هنا يمكن أن نحمل قول ابن هشام على أن إذا تضمنت معنى (إذ) في الأمثلة المتقدمة، فدللت على الظرفية التي حملت بين طياتها الماضي من خلال السياقات الأخرى التي رافقت (إذا). كالقرينة التاريخية، والمعنوية في الآيتين، والقرينة الفعلية (سقيت) السابقة لـ (إذا) في البيت.

د - الحروف :

وأهمها في هذا الباب (لم، لما، قد، رب).

فـ (لم) و (لما) : يقلب بعدهما مدلول المضارع إلى زمن الماضي في سياق الجمل. أما (قد)، فقد تخصص زمن الجملة الماضية في فترة معينة محدودة من امتداد الزمن الماضي، (وأما) (رب) فقد تؤكد الماضي، أو تنقل مدلول المضارع إلى الماضي.

ومثال إنصاف دلالة المضارع إلى الماضي في استعمال (لم) قوله تعالى : «لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد» (٤) ذلك لأن الحدث لم يقع في الزمن الماضي.

(١) التوبة ٩ / ٩٢

(٢) الجمعة ٦٢ / ١١

(٣) مغني اللبيب ١ / ٩٥

(٤) الإخلاص ١١٢ / ٣ و ٤

وهذا يعني أننا إذا قلنا لم يكتب الطالب فكأننا قلنا : ما كتب الطالب. فـ (لم) إذن نقلت الفعل «... نقلين، نقلته إلى الماضي، ونفته، ومن حكمها أن تدخل على المستقبل، فتنقل معناه إلى الماضي، وذلك نحو قولك : لم يقم أمس. وهي نفي (فعل) كأن قائلًا قال : قام أو أخرج. فقلت أنت : لم يقم ولم يخرج...»^(١).

وهي في نفي الماضي أكثر مرونة من (لما) في إمتداد فسحة الزمن حيث يجوز أن يكون معنى الفعل المضارع المنتفي بها كان قد انتهى، وانقطع أمدته قبل الكلام بوقت قصير، أو طويل، أو أن يكون الفعل مستمراً متصلاً بالحال (أي بوقت الكلام) ولكن يستحيل أن يكون للمستقبل، أو متصلاً به. فمثال إنقطاعه قبل الكلام قولك : لم ينزل المطر منذ شهرنا. ومثال اتصاله بالحال واستمراره قوله تعالى : «...لم يلد، ولم يولد...».

أما (لما)، فإن النفي بها واجب، ويمتد إلى الزمن الحالي، الذي ينتفي بها أيضاً ذلك بأن يكون معنى الزمن في السياق منفيًا في الماضي، وفي الحال كذلك نحو : أعجبني ورد النرجس، وأغراني بشمه، ولما أشمه، أي لاني الزمن الماضي ولا في الوقت الحاضر.

أما (رب) - كما أسلفنا في مقدمة الحديث - فإنها تنقل الحال إلى الماضي القريب منه، أو تؤكد الماضي صيغة على الماضي دلالة في السياق نحو : ربما فاتني القطار، فتأملت فأدركني صديق بسيارته فوصلنا قبل القطار. فالحمد لله، ربما أكره هذا الأمر وفيه خير. وأما (قد) فهي تفيد تقريب الماضي من الحال وحصره في فترة زمنية معينة، مقتطعة من الماضي، قريبة من الحال، وما يؤيد ذلك ما قاله ابن هشام من أنها تفيد «تقريب الماضي من الحال. تقول: قام زيد، فيحتمل الماضي القريب والبعيد فإن قلت : قد قام : اختص بالقريب...»^(٢). فهي إذن تؤكد الماضي ثم تقربه إلى الحال.

(١) معاني الحروف ١٠٠ - ١٠١

(٢) مغني اللبيب ١ / ١٧٢

ما يؤدي وظيفة الأفعال في الجملة، ودلالته على الزمن الماضي

أ - إسم الفاعل :

استعراض سريع عنه - وظيفته في الماضي وأنواع التعبير عن الماضي
بواسطته - مكوناته التي تفيد المضي.

١ - استعراض سريع:

بينت فيما مضى توهم البعض من النحاة الأقدمين، وإنزلاقهم في متاهات
الفلسفة التي عقدت النحو على من جاء من بعدهم، فلم تكن جهودهم موجهة إلى
وصف ما هو قائم في النصوص الفصيحة ليكون أساساً لدراسات نحوية
ولغوية سليمة، بل كان الكثير منها - أي جهودهم - عقلاً ومنطقاً. وعلى هذا
الأساس من الإبتعاد عن المنهج السليم، والإقتراب من منهج الفلسفة، اتخذ النحو
طريقه إلى ميادين لا تمت إلى اللغة بصلة.

غير أننا إذا أردنا الرجوع إلى الدرس الصحيح، فيجب علينا أن نتخذ طريق
الاستعمال لبحث سليم تتبين من خلاله استعمالات الصيغ : والقرائن للدلالة
على الزمن من خلال السياق. ولذلك يرى الباحث أن إسم الفاعل إذا استعمل
وحده في الكلام غير متصل بشيء بعده، لا يدل على زمن مطلقاً بل يستعمل
استعمال الأسماء الجامدة التي لا تقترن بزمن معين أبداً نحو: خالد عاقل...^(١)
فكلمة (عاقل) في الجملة المتقدمة، إسم لأنها دالة على الثبوت والدوام، وبذلك
تكون الجملة إسمية.

أما إذا تلاه شيء فله حكم آخر يستدل عليه من السياق، ومن حقنا حينئذ أن
نعده في جملة الأفعال، لأنه يؤدي وظيفة الفعل ويستعمل استعماله، فهو في هذه
الحال دال على الحدث وصاحبه، ويتبين منه (زمن) قد يكون محدداً، أو غير
محدد، يعرف من القرائن القولية والسياقية المعنوية والتاريخية واللغوية. وكذلك
إذا كان في أول الكلام، وسبق بنفي، أو استفهام، فهو في هذه الحال أيضاً يؤدي

(١) إسم الفاعل / ٦٨

وظيفة الفعل. ولذلك كان «...قد لمح الكوفيون الجوانب الفعلية في إسم الفاعل العامل، فهو عندهم فعل واعتبروه قسيماً للماضي، والمضارع، بخلاف إسم الفاعل غير العامل، فإنه يستعمل في الجملة استعمال الأسماء التي لا تدل على زمن البتة...»^(١).

ويبدو أن الكوفيين كانوا أصوب في نظرتهم إلى المسلك اللغوي من أقرانهم البصريين في إعتباره قسماً خاصاً يستعمل استعمال الأفعال - في أحد استعماله - ذلك لأنه يدل على حدث وزمن من خلال السياقات التي ينتظم فيها بجمل، والظاهر أنهم كانوا يراقبون استعماله في الكلام، فوجدوا أنه يؤدي وظيفة الفعل، ويدل دلالة. من أجل ذلك سمّوه فعلاً دائماً، وأعطوه وظيفة الأفعال، ولم يشترطوا اعتماده على نفي، أو استفهام، أو موصوف، أو مبتدأ، كما أنهم تصوروه بدلالته على كل الأزمنة الماضية، والحالية، والمستقبلية، ولا تتعين له هذه الأزمنة إلا من خلال السياق.

ومن هنا، فإن الكوفيين كانوا قد اعتقوا أنفسهم من بعض القيود الفلسفية فاعتبروا هذه الصيغة الصرفية تدل على الحدث والزمن، كما أنها تعبر عن الذات، ويتعين ذلك من القرائن السياقية فهي إذن تؤدي وظائف فعلية في الجملة إلى جانب الوظائف الإسمية.

فالفراء كان قد ذهب هذا المذهب متأثراً بأستاذه الكسائي الذي كان يرى أن إسم الفاعل لا يختص بزمن بعينه، فنقل السيوطي عن سمع الكسائي قائلاً : «اجتمعت وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو، ويقول : ما النحو؟ فقلت : وأردت أن أعلمه فضل النحو : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتل غلامك. وقال آخر : أنا قاتل غلامك. أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : أخذهما جميعاً. فقال له هارون : أخطأت - وكان له علم بالعربية - فاستحي، وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماضٍ، فأما الذي قال : أنا قاتل غلامك - بلا إضافة

(١) إسم الفاعل / ٧١ - ٧٢

- فإنه لا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد...»(١). ومن أجل ذلك فقد كان الفراء مصيباً باعتبار إسم الفاعل فعلاً في أحد استعماليه.

أما تسميته له بالفعل الدائم، فربما كان ذلك من أجل أن إسم الفاعل المعروف بالألف واللام يدل على الدوام والاستمرار. بمعنى أنه يستوعب الأبعاد الزمنية الثلاثة : غير أنه يقيد بالاستعمال بزمن معين من هذه الأزمنة الثلاثة بواسطة قرينة معنوية أو تاريخية أو لفظية ولذلك نجده في التنزيل العزيز يدل على الحال أو الاستقبال أو الماضي، بواسطة القرائن وعلى هذا الأساس فإضافة «...إسم الفاعل هي...ظاهرة شكلية نستطيع أن نعدّها قرينة لفظية مانعة من إرادة الحال، أو الاستقبال...»(٢). يتبن ذلك في قوله تعالى : «قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة»(٣). وقوله : «...فالق الأصباح...»(٤). ونخلص من ذلك أن إسم الفاعل هنا يؤدي وظيفة الفعل الماضي.

٢ - وظيفته في الماضي وأنواع التعبير عن الماضي بواسطته :

مادام إسم الفاعل يؤدي وظيفة الفعل الماضي، فلا بد من أن يقوم مقامه في الدلالات السياقية في تركيب الجمل، ولذلك فهو يستعمل فيما يأتي:

١- للتعبير عن وقوع الحدث في الزمن الماضي دون تحديد زمني، إذا استعمل مضافاً إلى معموله بقرينة السياق التي تدل على الماضي نحو: أنا كاتب الرسالة - بالإضافة - بمعنى : كتبت الرسالة.

٢- للتعبير عن وقوع الحدث واستمراره في الزمن الماضي بلا انقطاع إلى وقت الحديث وذلك مع الأفعال الناسخة (المساعدة) مثل (مازال، ما انفك، ما فتىء، ما برح، مادام) نحو : ما زال المطر ساقطاً. ما فتىء العلم ناشئاً في العراق.

(١) الأشياء والتظائر ٣ / ٢٢٣-٢٢٤

(٢) إسم الفاعل ٧٥ - ٧٦

(٣) الزمر ٣٩ - ٤٦

(٤) الانعام ٦ / ٩٦

٣- للتعبير عن استمرار الحدث عن فترة الماضي نحو : كان محمد (ص) رسولاً.
وهذا يعبر عن الماضي البعيد.

٤- للتعبير عن الماضي البعيد المنقطع نحو : قد كان خالد قائداً، والماضي المستمر نحو: ظل الشرطي واقفاً. والخلاصة من ذلك أنه يعبر عما يعبر عنه الفعل الماضي.

٣- مكونات دلالاته على جملة الماضي بالسياق :

فهو يعبر عن الماضي كما رأينا بالصيغة وبالقرائن السالفة الذكر نفسها، لاسيما القرائن اللفظية، كالتواسخ على اختلافها، والحروف مثل (إن) الشرطية، و(رب). والظروف فهو من هذه الناحية لا يختلف - كثيراً - عن الفعل الماضي.

ب - اسم المفعول :

ويراد به تلك الصيغة الصرفية التي تؤدي وظيفة الفعل في الجملة، ويتضح من متابعة وضع هذه الصيغة أنها تساوق إسم الفاعل في دلالاته الزمنية فهي - في أغلب الظن - تدل على الدوام في حال اتصال (أل) بها. وهي إذا نونت، دلت على الحال والاستقبال، وإذا أضيفت، دلت على الماضي.

أما الأبعاد الزمنية التي تتدرج فيها الوحدات الثلاث، فإنما تتبين من خلال السياق، بدلالة القرائن التي ترافقها وتتضافر أو تتدافع معها سواء كانت قرائن معنوية أو تاريخية، أو لفظية (فعلية، وظرفية، وحرفية). والذي يعنينا منه - أي إسم المفعول - هنا دلالاته على الماضي «...حين يضاف بقلة الى مرفوعه...»^(١).

أما وظائفه في التعبير عن جملة الماضي فهي نفسها وظائف إسم الفاعل لا تختلف عنها كثيراً، ولذلك فلسنا بحاجة إلى سردها ما دامت متمثلة في إسم الفاعل.

أما مكوناته في الدلالة على الزمن، فهي أيضاً مشابهة لمكونات إسم الفاعل من القرائن المعنوية، والتاريخية، واللفظية.

(١) النحو الوافي ٣ / ٢٦٤

الفصل الرابع
الجملة الحالية

الفصل الرابع الجملة الحالية

عرض سريع - وظيفتها - أنواعها - مكوناتها - دلالة صيغة إسم الفاعل فيها بين الحال والاستقبال من خلال السياق.

١- عرض سريع :

إذا أردنا أن نتعرف على جملة الحال فلا بد من معرفة صيغتها الأساسية ووزنها الفعلي وهو «...ما كان على يفعل، وهو ما يسمى بالفعل المضارع وهو الذي يدل في أكثر استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلم...»^(١).

كما أننا يجب علينا أن نحدد مفهوم زمن الحال بالنسبة لها، لأننا لا نظن أن دلالاته على الحالية في سياق الجملة، أو الحديث تعني لحظات التكلم فقط، الفاصلة بين الماضي والمستقبل، فلا بد له من أن يشتمل على جزء من الماضي، وجزء من المستقبل، فالمضارع - كما يسميه الأقدمون من النحاة - «...فعل يدل على الحدث من غير شك، وتقرن دلالاته على الحدث بدلالاته على الزمن، ولكن دلالاته على معنى الزمن، دلالة مرنة فضفاضة... وقد يفهم منه امتداد من الماضي إلى المستقبل...»^(٢). وهو بالإضافة إلى ذلك قد يشمل حكاية الحال الماضية أو حكاية الحال المستقبلية كما يرى ابن هشام «...أنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حالة

(١) في النحو العربي قواعد وتطبيق / ٢٢

(٢) نحو التيسير / ٧٥ وانظر الإيضاح في علل النحو / ٨٦

الأخبار نحو : (إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة) (١) لأن لام الابتداء للحال ونحو : (هذا من شعبيته وهذا من عدوه) (٢) إذ ليس المراد تقريب الرجلين من النبي صلى الله عليه وسلم، كما تقول : هذا كتابك فخذ، وإنما الإشارة كانت إليهما في ذلك الوقت فحكيت. ومنه عند الجمهور (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) (٣) أي يبسط ذراعيه بدليل : (ونقلبهم) ولم يقل : قلبناهم :

ولولا حكاية الحال في قول حسان :

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل (٤)

لم يصلح الرفع، لأنه لا يرفع إلا وهو للحال... (٥).

ومما تقدم يستخلص إن فعل الحال في السياق يشمل أبعاداً زمنية واسعة الفسحة تبدأ ببداية الحدث وتنتهي بنهايته مهما طال، واستوعب الأبعاد الزمنية التي تحيط بالحال من الماضي والمستقبل، فهو إذن قسيم للماضي والمستقبل، وليس كما يرى الزجاجي - في أحد آرائه - من أن الفعل «مادل على حدث وزمان ماضٍ أو مستقبل (٦) فكانه أهمل الحال. وهو بالإضافة إلى ذلك يستوعب جملة الماضي والمستقبل المحكيين.

٢- وظيفة جملة الحال :

هناك وظائف لجملة الحال تؤديها، لتفيد من خلالها نوعية الزمن حين وقوع الحدث، وإسم هذه الوظائف ما يأتي:

١- التعبير عن وقوع الحدث في الحاضر، أي في زمن التكلم مستمراً واقعاً نحو:
أراك مفكراً، أظنك صادقاً. أعلم أنك مسافر.

(١) النحل ١٦ / ١٢٤

(٢) القصص ٢٨ / ١٥

(٣) الكهف ١٨ / ١٨

(٤) أنظر شرح ديوانه طبعة إحياء التراث العربي / ١٨٣

(٥) مقني اللبيب ٢ / ٦٩٠-٦٩١

(٦) الإيضاح في علل النحو / ٥٢

٢- التعبير عن وقوع الحدث كثيراً، فهو يتكرر في الوقوع إلى حد أنه يقترب من الحقيقة في نحو قولك، تشرق الشمس . فهو - أي الشروق - لا يحدث في وقت واحد بل يقع في أزمان مختلفة ومتكررة. ومثل ذلك قولهم:

إنك لا تجني من الشوك العنب. قبل الرماء تملأ الكنائن. بالبر يستعبد الحر.

٣- التعبير عن وقوع حدث يكون مستقبلاً بالنسبة إلى حدث وقع قبله في الماضي الذي سبق زمن الكلام نحو قوله تعالى : «ثم استوى على العرش يدبر الأمر» (١) . وكذلك حكاية المستقبل المحض.

٤- التعبير عن حكاية وقعت في الزمن الماضي نحو قوله تعالى : «وزلزلوا حتى يقول الرسول...» (٢) . وقولك : سرت حتى أدخلها (بالرفع).

٢- أنواع جملة الحال من حيث الزمن :

لجملة الحال أنواع هي ما يأتي :

١- زمن الحال العادي، أي البسيط، ويؤدي بصيغة المضارع الصرفي وإسم الفعل المضارع. وإسم الفاعل.

ومن أمثله في المضارع قولك : يدرس الطالب. يفلح المستقيم. وقوله تعالى : «وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون...» (٣) . وقوله : «تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً...» (٤) . وقوله : «ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين...» (٥) . ونفي هذه الصيغة يكون بـ (ليس). نحو قولك : ليس المرء يكذب، وتوكيدها بـ (أنه) كقولك : أنه يكذب.

٢- زمن الحال المتجددة. وهو الذي يقع مرات في الحاضر، وتكون صيغته بـ

(١) يونس ٣ / ١٠

(٢) البقرة ٢ / ٢١٤

(٣) الواقعة ٥٦ / ٨٢

(٤) الانعام ٦ / ٩١

(٥) آل عمران ٣ / ٦١

(يكون يفعل)، أو (يكون فاعلاً). نحو قوله تعالى : «...تكون له جنة يأكل منها ...» (١) وقوله: «وتكون عليها من الشاهدين...» (٢).

وتؤكد هذه الصيغ بـ (إنه)، ونفيها بـ (ما).

٣- زمن الحال المتصل بالمستقبل. وصيغته (مايزال يفعل). وتكون الأفعال المساعدة الناسخة وما يجري مجراها أساساً لتأليف دلالاته في الجمل من خلال السياق نحو : ما يزال العلم يتوسع. وما زال العراق يبرهن للعالم أنه يتقدم بسرعة.

٤- زمن الحال المستمر، وهو الذي يؤدي بـ (يظل، يمسى، يضحى) وهذه الصيغ تفيد الحال، وربما تستمر إلى المستقبل، وتتصل به نحو قوله تعالى : «...نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين» (٣) . وقوله: «...وأنت لا تظلموا فيها ولا تضحي ...» (٤) . وتوكيدها - أي الصيغ - بـ (أنه). ونفيها بـ (ما).

٥- زمن الحال المقارب للوقوع. يؤدي بأفعال هي (يكاد، يوشك) وتدل على أن الحدث قرب على الوقوع لكنه لم يقع بمعنى أن الحدث في هذه الأفعال لا يتم حدوثه في الماضي، ولا في الحال نحو قوله تعالى : «يكاد البرق يخطف أبصارهم» (٥) . وتوكيد زمن الحال هذا بـ (أنه). ونفيه بـ (ما).

٤- مكونات الجملة الحالية:

أولاً - بالصيغ:

١- صيغة المضارع الصربي إن لم تصحبه قرينة تصرفه للمستقبل - لأن الزمن الماضي له صيغة فعلية معينة تشير له، والزمن المستقبل له صيغة تدل عليه.

(١) الفرقان ٨ / ٢٥

(٢) المائدة ١١٣ / ٥

(٣) الشعراء ٧١ / ٢٦

(٤) طه ١١٩ / ٢٠

(٥) البقرة ٢٠ / ٢

وهي صيغة فعل الأمر. ومن هنا تكون صيغة المضارع للحال، إذا خلت من القرائن الاستقبالية. نحو قوله تعالى : «أنا نحن نحیی الموتی، ونکتب ما قدموا وأثأرهم...» (١) . وقوله تعالى : «...أین شركاؤکم الذین کنتم تزعمون» (٢) .

ب - صيغة إسم الفعل المضارع. مثل (أف) و (أوه) وما جرى مجرى هذه الصيغ نحو قوله تعالى : «أف لكم، ولما تعیدون من دون الله...» (٣) وقوله تعالى : «فویل للذین یکتبون الکتاب بأیدیهم...» (٤)، وقوله : «...وویل لهم مما یکسبون...» (٥)

ثانياً - بالقرائن :

أ - القرائن المعنوية في الجملة :

وهذه تشمل الفعل الماضي (صيغة) فإنه يدل على الحال من خلال السياق وذلك إذا تعین معناه في زمن الحال وقت الحديث، ولاسيما إذا قصد به التأكيد على حصول الحدث في الحال، فيكون حينئذ ماضي اللفظ، حالي الدلالة، مثل قولك لمن تريد أن تبیعه شيئاً : بعك هذا وقوله بالقبول : قبلت. وهذه تسمى أفاظ العقود التي يقصد بها لفظ أحداث على معنى الحال.

وتدرج تحت هذا المعنى أفاظ الزواج أيضاً، حينما يقول العاقد لطالب الزواج:زوجتك. وجوابه قبلت (٦) .

وكذلك عبارات القسم نحو قولهم: نشدتك الله ألا فعلت، وعزمت عليك ألا فعلت (٧) .

(١) يسین ٣٦ / ١٢ (٢) الأنعام ٦ / ٢٢

(٣) الأنبياء ٢١ / ٦٧

(٤) البقرة ٢ / ٧٩

(٥) البقرة ٢ / ٧٩

(٦) أنظر / النحو الوافي ١ / ٥٣

(٧) أنظر الشيرازيات ٢ / ٣٠٩

ب - القرائن اللفظية في الجملة :

١- الأفعال الناسخة والمساعدة مثل (يكون وأخواتها) و (يظل وأخواتها) و (يوشك وما جرى مجراها) و (ما يزال وأخواتها). وقد أشرنا إلى ذلك في بحث أنواع الجمل الحالية في دلالتها على الزمن.

٢- الظروف :

أ - الآن وما جرى مجراها مثل : حالا، وفوراً، والساعة. وأنفأ.

فالآن إسم للوقت الحاضر جميعه، وهو الوقت الذي يستغرقه الحال بهذه الكلمة، وقد يتوسع فيها فتشمل أبعاد بداية العمل ونهايته مثل قولك : أنارت الشمس الكائنات الآن. ونحو : الملاح يبحر في سفينته الآن، أو حالا. ومن هنا ندرك أن هذه الظروف يتدرج ضمنها الماضي القريب من زمن النطق والمستقبل القريب أيضاً تنزيلاً للزمين منزلة الحاضر (١).

ب- إذا الفجائية :

وهي على وجهين : أحدهما : أن تكون شرطية للمستقبل. وسنتحدث عنها فيما بعد.

والثاني : أن تكون للمفاجأة، فتختص بالجمل الإسمية. ولا تحتاج إلى جواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال لا الاستقبال نحو : خرجت فإذا الأسد بالباب .

ومنه قوله تعالى : «فإذا هي حية تسمى ...» (٢) . وقوله : «...إذا لهم مكر...» (٣) . وكذلك تدل على الحال إذا أتت بعد قسم. نحو قوله تعالى : «والليل إذا يُغشى» (٤) . وقوله : «والنجم إذا هوى...» (٥). «ولو كانت

(١) انظر / النحو الوافي ٢ / ٣٦٣

(٢) طه ٢٠ / ٢٠

(٣) يونس ١٠ / ٢١

(٤) الليل ١ / ٩٢

(٥) النجم ١ / ٥٣

للاستقبال، لم تكن ظرفاً لفعل القسم، لأنه إنشاء لا أخبار عن قسم يأتي.
لأن قسم الله سبحانه قديم، ولا لكون محذوف، وهو حال من الليل والنجم،
لأن الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذان الوجهان تعين أنه ظرف
لأحدهما على أن المراد به الحال...» (١).

٣- الحروف :

أ- ليس : تنفي اتصاف إسمها بمعنى خبرها اتصافاً يتحقق في الزمن الحال مثل
قولك : ليس القطار مقبلاً. فالمقصود هنا نفي القدوم عن القطار الآن،
وتكون لنفي الحال عند عدم اقترانها بقرينة، تدفع بزمنها إلى الماضي أو
المستقبل في السياق. ومن دلالتها على الحال قوله تعالى : «...ليس ذلك من
الأمر شيء...» (٢) وقوله : « يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم... » (٣).

ب- لات : وهي أيضاً تستعمل لنفي الحال إذا لم ترتبط بها قرينة في السياق
تصرفها إلى جهة زمنية أخرى. وهي تختص بالأوقات نحو قوله تعالى :
«...ولات حين مناص...» (٤).

ج - (ما) : وتعني بها تلك التي تأتي قبل المبتدأ والخبر أو قبل الفعل المضارع،
فالذي تأتي قبل المبتدأ والخبر، ينصب الحجازيون بها الخبر، أما بنو تميم فلا
ينصبون بها، وهي في كلا الحالتين تفيد المعنى عن الخبر في الزمن الحالي
عند عدم وجود قرينة تصرف زمنها إلى جهة أخرى.

وكذلك تستعمل لنفي الفعل المضارع (صيغة) الدال على الحال، نحو قولك في
الإثبات: هو يدرس بجد. فيكون نفيه. هو ما يدرس بجد.

د- (لا) : وهي أيضاً تدل على نفي المعنى عن الخبر بما يتصرف به المبتدأ، وإذا
استعملت استعمال (ليس)، نحو قولك : لا معروف ضائعاً فحينئذ تدل على

(١) مغني اللبيب ١ / ٩٥

(٢) آل عمران ٣ / ١٢٨

(٣) آل عمران ٣ / ١٦٧

(٤) ص ٣٨ / ٣

نفي الحال، شريطة أن لا تقترن بما يصرف معناها إلى جهة زمنية ثانية من خلال السياق.

هـ- (إن) أيضاً تستعمل لنفي الحال، ونقصد بها تلك التي تنفي معنى الخبر في نحو قولك : أن الذهب رخيصاً. بمعنى : ما الذهب رخيصاً. وهي أيضاً تدل على الحال إذا لم تتصل بقريئة تصرف زمنها إلى جهة أخرى من خلال السياق.

و- (لام الابتداء) وهي أيضاً تستعمل في السياق لغرض الدلالة على زمن الحال. وذلك إذا لم تقترن بقريئة تصرفها عن الحالية في السياق. نحو قولك : إن هذا الرجل - الحق - ليحسن عمله.

٥- إسم الفاعل في الجملة ودلالته على الزمن في السياق بين الحال والاستقبال :

إسم الفاعل - كما أشرنا إليه من قبل - يدل بوضعه على قائم بعمل منتظم حدثاً ما ، ولذلك فهو يحمل في معناه تطور فكرة الزمن، ولما كان حدثاً أي فعلاً وفاعلاً لذلك الحدث، لم يتجرد في أصله من تطور معنى الزمن. فعندما أقول : مثلاً : أنا دارس الكتاب، فكلمة (دارس) تعنى الدراسة (الحدث) ، والفاعل لذلك الحدث، وعلى هذا الأساس لا بد من توفر عنصر الزمن الذي يلف وقوع هذا الحدث، ولذلك فهو يدل في السياق، أما على الماضي، أو الحال، أو المستقبل.

ولقد اشترط علماء النحو لعمل إسم الفاعل، أن يسبق بنفي، أو استفهام أو يعتمد على وصف. وفي كل أحواله السابقة هذه ينصب مفعولاً، وإذا نصب مفعولاً دل على زمن الحال والاستقبال. «وهنا لا بد من قريئة تعين زمنه الحالي أو الاستقبالي، أما إذا لم تذكر القريئة فهو صالح للزمنين، وأنت مصيب في أيهما قدرت...» (١) غير أن الأفضل يرجح كونه للحال، فهو يعبر عن أن الحدث حاصل

(١) النحو الوافي ٣ / ٢٣٨

في الزمن الحاضر، ويستمر إلى المستقبل المحدود، نحو : قولك : خالد قائم.
ورياض ضاحك. فالكلمتان (قائم) و(ضاحك) تدلان على استمرار (القيام
والضحك). ويتعين كونه للحال إذا نفي بـ (ما) و (ليس) و (إن) نحو قولك : ما
زيد قائماً. وإن زيد قائماً. وليس الطالب راسباً.

أما إذا ضمت إليه قرينة، فحينئذ تكون دلالة على الحال، أو الاستقبال
والحال أوضح قال المبرد: «...فإن جعلت إسم الفاعل في معنى ما أت فيه، ولم
ينقطع، أو ما تفعله بَعْدُ، ولم يقع، جرى مجرى الفعل المضارع، وتقديره، لأنه في
معناه وذلك قولك: زيد أكل طعامك الساعة. إذا كان في حال أكل، وزيد أكل
طعامك غدا...» (١). إذا كان في حال استقبال أكل، لأن الساعة قرينة ظرفية تعين
الحال، (غدا) قرينة ظرفية تعين المستقبل القريب.

والخلاصة من ذلك فإن إسم الفاعل يدل على الحال أو المستقبل القريب من
الحال في أغلب استعمالاته في سياق الجمل.

الفصل الخامس
الجملة المستقبلية

الفصل الخامس

الجملة المستقبلية

وظائفها - أنواعها - مكوناتها

١ - وظائف جملة المستقبل :

تحدثنا فيما مضى عن الوظائف التي تؤديها جملة الماضي، وجملة الحال، وسنلقي الضوء فيما يأتي على الوظائف التي تؤديها جملة المستقبل من خلال السياق، ذلك لأنها تشكل الركن المهم والأساس في التعبير عن حاجات الإنسان، وما يتوقعه ويرجوه، ويتمناه في المستقبل. ومن هنا فجملة المستقبل تمثل فكر الإنسان العربي المتطور، فلا بد إذن من أن تستوعب هذا التطور بشكل دقيق منسجم مع طبيعة اللغة وذوق الإنسان المعاصر المتحضر، وخير دليل على استيعاب جملة المستقبل لحياة الإنسان المتطور ما جاء في القرآن الكريم من فيض غزير رفيق دقيق ملائم مع ما يرقى إلى شخصية إنسان المستقبل، غير أن ما أشرنا إليه لا يعني أن جملة المستقبل تعبر عن المستقبل الحقيقي فقط، إنما تشمل، كل ما يلف هذا المستقبل، وما ينقل إليه، وما يجري مجراه وعلى هذا الأساس فهي تقوم بالوظائف التالية:

١- للتعبير عن حدث يقع في حيز الإستقبال، وهو محقق الوقوع، فكأنما هو بمنزلة الواقع: نحو قوله تعالى: «قاله يحكم بينهم يوم القيامة» (١). وقوله تعالى: «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً...» (٢) وقوله تعالى: «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً...» (٣).

(١) البقرة ٢ / ١١٣

(٢) البقرة ٢ / ٤٨

(٣) الكهف ١٨ / ٩٩

٢- للتعبير عن حدث مرشح للإستقبال، أو يتعين في المستقبل، سواء كان وقوعه مؤكداً نحو: قوله تعالى: «وسيعلم الذين ظلموا، أي منقلب ينقلبون...» (١)، وقوله: «كلا سوف تعلمون...» (٢).

أو غير مؤكد نحو قولك: أود أن أراك. وهذه حقيقة لا يدنو إليها الشك.

٣- للتعبير عن حكاية حال الماضي الذي كان قد حصل، نحو قوله تعالى: «ويقولون: يا ولتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها...» (٣). وقوله تعالى: «...أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله...» (٤).

٤- للتعبير عن الوعد والوعيد، كقوله تعالى: «يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء...» (٥).

٢- أنواع جملة المستقبل :

لجملة المستقبل أنواع، لكل نوع ميزة تؤدي من خلال السياق، لتشير إلى قصد المتكلم، أو السامع، أو الكاتب وستفصل هذه الأنواع فيما يأتي:

١- الجملة التي تعبر عن المستقبل البسيط، وأداة هذه الجملة المضارع (الصرفي) المجرد والمزيد، وزمانها غير محدد، قد يستغرق المستقبل كله، أو جزءاً منه، وقد يقصد به المستقبل القريب أو البعيد، ويعود التحديد الزمني الدقيق في جملة هذا المستقبل إلى الظروف الحالية وتقدير السامع والقارئ، أو المتكلم والكاتب. لأن المتكلم أو الكاتب في هذه الجملة لا يركز على المدلول الزمني، بقدر ما يركز على أهمية الحدث. نحو قوله تعالى: «...يوم نقول لجهنم. هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟...» (٦). وقوله تعالى: «ليقولن كأن لم تكن

(٢) التكاثر ١٠٢ / ٣

(١) الشعراء ٢٦ / ٢٢٧

(٣) الكهف ١٨ / ٤٩

(٤) الزمر ٣٩ / ٥٦

(٥) المائدة ٥ / ٤٠

(٦) ق ٥٠ / ٣٠

بينكم وبينه مودة...» (١) . وقوله تعالى: «فليتقوا الله، وليقولوا قولاً سديداً...» (٢) . وقول إمرئ القيس:

تصد، وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطلق^(٣)

٢- جملة المستقبل القريب، وهي الجملة التي تعبر عن مستقبل، يقترب من الحال وأداتها الأساسية (السين) التي تلحق صيغة المضارع الصرفي نحو قوله تعالى: «فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً...» (٤). وقوله: «سيعلمون غداً من الكذاب الأشر...» (٥). وقوله: «فسيعلمون من أضعف ناصرأ وأقل عدداً...» (٦) .

٣- جملة المستقبل البعيد وصيغتها (سوف يفعل)، وتفيد التعبير عن المستقبل البعيد الذي لا يمكن تحديد وقوعه بدليل قوله تعالى «...ويقول الإنسان إذا مامت، لسوف أخرج حياً...» (٧) . وقوله تعالى: «وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً...» (٨) . «وأبصرهم فسوف يبصرون...» (٩) .

٤- جملة المستقبل المستمر، وهي تعني وقوع الحدث في المستقبل- إن كان قريباً وإن كان بعيداً - ثم استمراره لفترة، وصيغته الغالبة بـ (سيظل يفعل) وما يجري مجراها نحو قولك: سيظل المكافح يجد حتى ينال المجد.

وتوكيد هذه الأساليب السالفة الذكر، يكون بنون التوكيد بالدرجة الأولى، وكذلك بالقسم. نحو قوله تعالى: «ولسوف يعطيك ربك فترضى...» (١٠) . وقوله

(١) النساء / ٤ / ٧٣

(٢) النساء / ٤ / ٩

(٣) شرح القصائد العشر / ٤١

(٤) مريم / ١٩ / ٧٥

(٥) القمر / ٥٤ / ٢٦

(٦) الجن / ٧٢ / ٢٤

(٧) مريم / ١٩ / ٦٦

(٨) الفرقان / ٢٥ / ٤٢

(٩) الصافات / ٣٧ / ١٧٥

(١٠) الضحى / ٩٣ / ٥

«ولسوف يرضى...» (١) . أما النفي فغالباً ما يحصل لهذه الأساليب بـ (لن) و
(لا) نحو قوله تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود» (٢) وقوله تعالى : «ولا يرضى
لعباده الكفر...» (٣) وقوله: «ولا يرضى...» (٤) .

مكونات جملة المستقبل :

لجملة المستقبل مكوناتها التي يمكن أن نحصرها في ثلاث نواحي إحداها
بالصيغ، والثانية بالقرائن، والثالثة بالأساليب، وفيما يلي تفصيل ذلك :

أولاً - بالصيغ :

أ - صيغة فعل الأمر :

وزمن الأمر هذا مستقبل - في أكثر حالاته - لأنه مطلوب به حصول ما لم
يحصل بعد أو دوام ما هو حاصل ابتداءً. فمثال الأول : سافر زمن الصيف إلى
سواحل البحار. وقوله تعالى : «...فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة...» (٥) وقوله : «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً...» (٦) .

ومثال الثاني : قوله تعالى : «يا أيها النبي اتق الله، ولا تطع الكافرين
والمنافقين...» (٧) . وذلك أن النبي (ص) لا يترك التقوى مطلقاً، فإذا أمر بها كان
المقصود الدوام عليها. ومن هنا فإن فعل الأمر في الأصل، ما دل على طلب أحداث
الفعل، وصيغته (أفعل). وتوكيده (افعلن). ونفيه (لا تفعل).

ونقصد بصيغ الأمر هنا، أغراضه المختلفة التي يؤديها ضمن سياقاته،
كالدعاء نحو قوله تعالى: «... ربنا اغفر لنا ذنوبنا...» (٨) والتعجيز كقوله : (...)

(٢) البقرة ٢ / ١٢٠

(١) الليل ٩٢ / ٢١

(٣) الزمر ٣٩ / ٧

(٤) التوبة ٩ / ٩٦

(٥) البقرة ٢ / ٢٤

(٦) البقرة ٢ / ٤٨

(٧) الأحزاب ٣٣ / ١

(٨) آل عمران ٣ / ١٤٧

فأتوا بسورة من مثله...» (١) . والتهديد كقوله : «... اعملوا ما شئتم ...» (٢) .
 والتحقير كقوله : «كونوا حجارة أو حديداً» (٣) . والتسوية كقوله : «... فاصبروا. أو
 لا تصبروا...» (٤) . والإباحة كقوله : «... وإذا حللتم فاصطادوا...» (٥) . والامتنان
 كقوله : «... فكلوا مما رزقكم الله...» (٦) . والتمني كقوله :
 يا ليل ظل. يا نوم زل.

ب - صيغة إسم فعل الأمر المصوغ من الثلاثي التام المتصرف :

وبناؤه (فَعَالٍ) بفتح الفاء، وكسر اللام، مثل : تَرَكَ الشَّرَّ. وكذلك الصيغ
 المنقولة التي استعملت كأسماء أفعال نحو قوله تعالى : «... عليكم أنفسكم، لا
 يضركم من ضل إذا اهتديتم...» (٧) . والصيغ المرتجلة مما سمي به الأمر مثل
 (بله) بمعنى : (دع). كقول الشاعر في صنعة السيوف:

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق (٨)

وقوله تعالى : «فمهل الكافرين أمهلهم رويدا...» (٩) .

ج - صيغة المصدر التي تفيد الأمر:

والمصدر تقصد به هنا المصاغ من الفعل التام المتصرف، فهو يستخدم في
 كثير من الأساليب نائبا عن الفعل، فيدل على الأمر، ولذلك فهو يشير إلى المستقبل
 نحو قوله تعالى : «... فإذا لقيتم الذين كفروا، فضرب الرقاب...» (١٠) .

وستخلص مما سبق أن الأمر بالصيغ يدل على المستقبل القريب في أغلب
 أحواله من خلال السياق، لأنه وضع أساساً لهذا القصد وما تدّ - عنه يحمل
 عليه في الدلالة.

(١) يونس ٣٨ / ١٠	(٢) فصلت ٤٠ / ٤١
(٣) الإسراء ٥٠ / ١٧	(٤) الطور ١٦ / ٥٢
(٥) المائدة ٣ / ٥	(٦) النحل ١١٤ / ١٦
(٧) المائدة ١٠٥	(٨) أنظر شذور الذهب ٤ / ٤٠٢ (رواية نصب الألف)
(٩) الطارق ١٧ / ٨٦	(١٠) محمد ٤ / ٤٧

ثانياً - بالقرائن :

أ - القرائن المعنوية في الجملة :

لقد أسلفنا القول فيما سبق عن الحديث حول القرائن التي تحدد زمن جملة الماضي والحال، وسنتحدث هنا عن القرائن التي تحدد مفهوم الزمن في جملة المستقبل وفي مقدمة هذه القرائن. الدلالات المعنوية.

ونقصد بها تلك التي تحيل وقوع الفعل إلى المستقبل على الرغم من كون صيغته ماضية البناء الصرفي، فحينما تأمل قوله تعالى : «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً...» (١). «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون...» (٢). «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض...» (٣) نجد أن الصيغ في جميع الآيات المباركة ماضية، غير أن المعنى يقع في المستقبل لا محالة، وتدرك هذا المستقبل من المعنى المقاد من سير السياقات في الآيات الكريمة. ويؤيدنا في ذلك قول ابن هشام من أن «الماضي إنما يقوم مقام المستقبل في بعض المواضع على خلاف الأصل...» (٤).

ويقويه إجماع الجمهور وإياه على «... إنه يجوز أن يقام الفعل الماضي مقام الفعل المستقبل...» (٥). هذا إذا قصد للتأكيد على أن الحدث يقع في المستقبل لا مفر من ذلك. وكذلك يدل الماضي على المستقبل في الجمل شرط...» أن يكون محمولاً على الدعاء... يقال جاءني فلان، وسع الله رزقه، وأحسن إلي غفر الله له... فاللفظ كله لفظ الماضي ومعناه الدعاء...» (٦).

(١) الكهف ١٨ / ٩٩

(٢) يس ٣٦ / ٥١

(٣) الزمر ٣٩ / ٦٨

(٤) مغني اللبيب ١ / ٢٢٥

(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٥٤

(٦) المصدر نفسه ١ / ٢٢٥

ب - القرائن اللفظية في الجملة :

١ - قرينة تنوين إسم الفاعل في الجملة :

إن تنوين إسم الفاعل في سياق الجملة يمكن أن يعد ظاهرة شكلية بنائية لها معاني خاصة تشير إلى ترشيح صيغته الصرفية للزمن المستقبل، غير أن هذا المستقبل، لا يعرف تحديد زمنه، ويمكن أن يحمل على محمل المضارع البسيط الدال على المستقبل، وهذه الظاهرة الشكلية يمكن أن يسرى حكمها على كل الصور والأشكال في استعماله، إذا كانت متشابهة أو متقاربة، فنحن نستطيع أن نقول: إن استعمال إسم الفاعل منونا في الجملة مقترناً ببعض القرائن، أو غير مقترن، يدل على المستقبل يؤيدنا في ذلك ما جاء في استعمالاته الكثيرة من القرآن الكريم. كقوله تعالى: «...كمن هو خالد في النار، وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم...» (١). وقوله: «وما أنت بتابع قبلتهم...» (٢). على أن تنوين إسم الفاعل قد يراد به الحال - كما أسلفنا من قبل - والسياق في الجملة هو الذي يدل على ذلك فهو يجري «...مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في (يفعل) كان نكرة منوناً...» (٣).

٢ - قرينة الأفعال :

وأهم هذه الأفعال هي أفعال الرجاء (عسى، اخلولق) وزاد ابن مالك (حرى). وهذه الأفعال تدل على معنى الرجاء، والرجاء وقوع شيء في المستقبل يؤدي بواسطة الأفعال الثلاثة المذكورة بلفظ الماضي، وقد أطلق عليها البعض من العلماء واللغويين إسم الأفعال الناسخة (٤). ويكون خبرها فعلاً مضارعاً مقترناً به (أن) المصدرية وجوباً مع (حرى) و(اخلولق) وجوازاً مع «عسى».

(١) محمد ٤٧ / ١٥

(٢) البقرة ٢ / ١٤٥

(٣) الكتاب (هارون) ١ / ١٦٤

(٤) أنظر النحو الوافي ١ / ٦٢٠

ولارتباط أخبارها بـ (أن) المصدرية فهي - عندي - تفيد المستقبل القريب،
ومما يؤيد ما ذهب إليه قول ابن منظور «...يقال : أنه لخلق أي حرى، يقال
ذلك للشيء الذي قد قرب أن يقع، وصح عند من سمع بوقوعه...» (١).

ومنه قول الرسول (ص): «... وأخلوق بعد تفرق...» (٢). ومهما يكن الأمر
فالأفعال الثلاثة تشير أخبارها إلى زمن المستقبل سواء كان قريباً أو بعيداً غير
أن هذا المستقبل غالباً يبنى على ماضٍ واقع، يريد أن يتخلص منه المتكلم، أو
السامع، أو الكاتب في مستقبل يتسق مع أمانيه ورغباته. نحو قولك:

اشتد الغلاء، عسى أن تخف حدته في المستقبل.

ومعنى (أخلوق) و (حرى): (خلق) و«جدير»، واستعمالهما قليل جداً. ولم
يردا في القرآن الكريم، لذلك لا يكاد النحاة يشيرون إلى (أخلوق) واستعمالاته
النحوية. وهم قد أشاروا إلى (حرى) إشارات عابرة ملخصها أنها تستعمل بلفظ
الماضي، والمصدر، والصفة، وإذا استعملت مصدراً، لزم التذكير والأفراد في
مختلف أحوالها نحو: زيد حرى أن يتقدم. والزيدون حرى أن يتقدموا.
والهندات حرى أن يحترمن. وإذا استعملت صفة، صرفت في التثنية والجمع،
والتذكير والتأنيث ومن ذلك قول الرسول (ص) «أن هذا لحرى أن خطب أن
ينكح...» (٣). وقول لبيد:

من حياة قد سئمتنا طولها وحرى طول عيش أن يمل (٤)

وإما (عسى)، فقد استعمل في الذكر الحكيم في ثمانية وعشرين موضعاً منها
إثنتان إتصلاً بضمير الجمع المذكر المخاطب، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذا
الفعل أكثر استعمالاً من الفعلين الآخرين ومن أجل ذلك اهتم بدراسته النحاة (٥).

(١) اللسان (بيروت) (خلق) / ١٠ / ٩١

(٢) المصدر نفسه (خلق) / ١٠ / ٩٢

(٣) اللسان (بيروت) (حرى) / ١٤ / ١٧٣

(٤) المصدر نفسه (حرى) / ١٤ / ١٧٣

(٥) أنظر المقتضب ٣ / ٧٠، ومغني اللبيب - ١ / ١٥١

ومن وروده في الذكر الحكيم قوله تعالى : «فعسى أن تكرهوا شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً...» (١) وقوله: «عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا...» (٢) . وقوله، «عسى ربكم أن يرحمكم..» (٣) .

٣ - قرائن الظروف :

أ - يومئذ وحينئذ :

وهما ظرفان للزمن المستقبل، نحو قوله تعالى : «...يومئذ تحدث أخبارها...» (٤) . وقوله تعالى «...وأنتم حينئذ تنظرون...» (٥) . وجمهور البصريين لا يميلون إلى تنزيل المستقبل الذي يجب أن يقع - كما في هاتين الآيتين - منزلة ما قد وقع (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن استعمال (يومئذ) في أي الذكر الحكيم مقدار عُده ثلاث وسبعون مرة، في الوقت الذي استعمل فيه الظرف (حينئذ) مرة واحدة. ومن ذلك قوله تعالى : «...وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد...» (٧) . وقوله : «...إلى ربك يومئذ المساق...» (٨) ، والخلاصة أنهما يدلان على جزء من المستقبل.

ب - عوض :

ظرف «... معناه الأبد وهو للمستقبل من الزمان لأنك تقول : عوض لا أفارقك، تريد: لا أفارقك أبداً ..» (٩) . وقال الأعشي: رضيحي لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق (١٠) .

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------|
| (١) النساء / ٤ / ١٩ | (٢) النساء / ٤ / ٨٣ |
| (٣) الإسراء / ١٧ / ٨ | (٤) الزلزلة / ٩٩ / ٤ |
| (٥) الواقعة / ٥٦ / ٨٤ | (٦) نظر/مغني اللبيب / ١٠ / ٨١ |
| (٧) إبراهيم / ١٤ / ٤٩ | |
| (٨) القيامة / ٧٥ / ٣٠ | |
| (٩) اللسان (بيروت) (عوض) / ٧٠ / ١٩٢ | |
| (١٠) المصدر نفسه (عوض) / ٧ / ١٩٣ | |

وقد اختلف هي إعرابه وبنائه قيل : «... يبنى على الحركات الثلاث : الدهر، معرفة، علم، بغير تنوين، والنصب أكثر وأقشى، وقال الأزهري: تفتح وتضم ولم يذكر الحركة الثالثة...» (١). وذكر ابن هشام أنه مختص بالنفي نحو قولك : لا أفعله عوض العائضين (٢). والخلاصة أنه ظرف يستغرق نفي المستقبل جملة .

ج - أبدا :

الأبد : الدهر، ويستعمل للنفي والإثبات فيما يستقبل، وفي حديث الحج قال سراقه بن مالك : رأيت متعتنا هذه؟ العامنا أم للأبد؟ فقال : بل هي للأبد. ومن ذلك قولهم ، لا أفعل ذلك أبدا الأبد وأبد الأباد وأبد الدهر (٣)، ومعناه السياقي استغراق المستقبل نفياً وإثباتاً.

٤ - قرائن الحروف :

أ - الحروف المشبهة بالأفعال : ما يختص منها بالمستقبل (كان، ليت، لعل) وكان تأتي بمعنى المستقبل القريب، قاله الكوفيون وحملوا عليه قولك مثلاً: كأنك بالشتاء مقبل. وكأنك بالفرج آت. ومنه قوله تعالى :
«كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية...» (٤).

وليت : تفييد تمني حصول شيء في المستقبل، أو إرجاع ما مضى نحو قول الشاعر:

يا ليت أيام الصبا رواجعا (٥).

والتقدير: يا ليت أيام الصبا لنا رواجعا. أي ترجع. ومن ذلك قوله تعالى :

(١) المصدر نفسه (عوض) ٧ / ١٩٣

(٢) أنظر مغني اللبيب ١ / ١٥٠

(٣) أنظر اللسان (بيروت) (أبد) ٣ / ٦٨

(٤) النازعات ٧٩ / ٤٦

(٥) أنظر معاني الحروف ١١٣

«...يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي...» (١). وقوله تعالى : «... يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، فبئس القرين...» (٢).

ولعل: أيضاً تفيد المستقبل والرجاء والشك، لأنها بمعنى (كي). قال ابن منظور: «وهي كلمة رجاء، وطمع، وشك، وقد جاءت في القرآن الكريم بمعنى (كي)... ولعل من الله تحقيق...» (٣). وقد وردت في القرآن الكريم في مائة وثلاثة وعشرين موضعاً، ويقصد بها المستقبل منها قوله تعالى : «...وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً...» (٤). وقولسه : «... لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً...» (٥).

ب - الحروف النواصب :

النواصب قرائن تدفع المضارع صيغة إلى المستقبل، فالنصب يدخل على المضارع، ويفيد في تحديد معناه الزمني في السياق تحديداً يقصد به الدلالة على المستقبل الزمني «فهو إذن ينصب - أي الفعل - إذا تمخض المعنى للمستقبل على وجه العموم، وإنما يكون ذلك بحرف من حروف المعاني التي تحدد معناه بمعنى الاستقبال، وهي أدوات النصب المعروفة : «أن، ولن، وكي، وإذن» وكذلك الأدوات التي يختلف نحاة البصرة، ونحاة الكوفة في أصالتها في العمل، وهي اللام بوجهيها لام التعليل، ولام الجحود، وفاء السببية وواو المعية...» (٦). و(حتى)، فهي إذن تسعة حروف هي (أن - لن - إذن - كي - لام الجحود - أو - حتى - فاء السببية - واو المعية) وزاد بعض النحاة حرفين آخرين هما (لام التعليل وثم الملحقه بواو المعية) وبذلك يكون مجموع حروف النصب أحد

(١) يس ٣٦ / ٢٦ و ٢٧

(٢) الزخرف ٤٣ / ٣٨

(٣) اللسان (بيروت) (لعل) ١١ / ٦٠٧

(٤) الاحزاب ٢٢ / ٦٣

(٥) الطلاق ٦٥ / ١

(٦) نحو التيسير / ٨٥

عشر حرف، وكل واحد منها يدفع بزمن المضارع في السياق إلى المستقبل المحض^(١).

وستحدث عن الأحرف المهمة التي هي أساس الزمن وهي : (أن) المصدرية المحضة التي تنصب المضارع، وعلاقتها أن تقع في كلام يدل على الشك، أو على الرجاء والطمع، وأن يقع بعدها فعل، ولذلك فهي لا تتفق مع أسلوب اليقين الواقع والتحقق في سياق الجمل: ومن هنا فهي تقارب (إذا) في دلالتها على الإستقبال، قال الرماني: «... زعم الكوفيون أن تكون بمعنى. إذا - نحو- (عبس وتولى أن جاءه الأعمى)...»^(٢).

(لن): وهو حروف لنفي المستقبل بغير دوام - إلا إذا توفرت قرينة عينت دوامه - ولذلك فهو إذا ما دخل على الفعل المضارع نفي وقوعه في السياق نفياً مؤقتاً، ودفع زمنه إلى المستقبل المحض - غالباً - فمن يقول مثلاً: لن أسافر. فإنما يقصد نفي السفر فيما يستقبل من الزمن^(٣).

(كي): ونقصد بها تلك التي تأتي قبل الفعل المضارع صيغة في السياق، وهي حرف يفيد التعليل لأن ما قبله سبب لما بعده، وتكون «...بمنزلة (أن) المصدرية معنى وعملاً...»^(٤). وذلك نحو قوله تعالى : «لكيلا تأسوا على ما فاتكم...»^(٥). ومن أجل ذلك فهي تدل على المستقبل القريب.

(إذن) : وهي تعمل النصب إذا تقدمت المضارع - في كثير من الأحيان - وإذا نصبت المضارع (صيغة) في السياق، دفعت به إلى المستقبل فهي من هذه الناحية أقرب إلى (كي)، وأغلب الظن أنها للمستقبل القريب، ومعناها التعليل.

(١) معاني الحروف / ٧٣

(٢) معاني الحروف / ٧٣

(٣) أنظر معاني الحروف / ١٠٠

(٤) مفتي اللبيب ١ / ١٨٢

(٥) الحديد ٥٧ / ١٣

(حتى): ولا ينتصب الفعل بعدها إلا إذا دل على المستقبل في السياق. فإذا كان استقباله كائناً بالنسبة إلى زمن الكلام، فالنصب يكون واجباً لما بعدها نحو قوله تعالى «لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى...»^(١).

أما إذا كان إستقباله كائناً لما قبل الكلام، فيجوز نصب ما بعدها على أساس دفع زمن ما بعدها بالسياق إلى المستقبل، أو يجوز رفع ما بعدها على أساس أنها تدل على الحال لا الاستقبال.

ويستخلص مما تقدم من الحديث عن النواصب للمضارع أنها تدفع زمن صيغته إلى المستقبل والأغلب أنها تدفعه إلى المستقبل القريب من الحال فهي بمجموعها تدل على المستقبل القريب المثبت والمنفي.

ج - حروف الجزم (الأمر بالحروف) :

ونخص منها هنا (لام الأمر) و(لا الناهية). فلام الأمر تقترن بالفعل المضارع صيغة فتحول معناه في سياق الجملة إلى مستقبل، ذلك لأنها تغير مفهومه بالدلالة إلى أمر. فمثلاً لو أخذنا الفعل المضارع (تخرج)، وأدخلنا عليه (لام الأمر) كقريئة في السياق، تحول إلى أمر حينما نقول : (لتخرج)، وبذلك حصلت الدلالة على الطلب من (اللام) التي تسمى (لام الأمر)، والتي لحقت الفعل في أوله ، وسماتها أن تحرك بالكسر وتسكن بعد (الفاء والواو) في العام الغالب^(٢)، من ذلك قوله تعالى: «...لينفق ذو سعة من سعته...»^(٣). وقوله «...ثم ليقتضوا تقضهم، وليوفوا نذورهم...»^(٤). والطلب باللام هذا، أما أن يدل على الأمر - إذا كان من الأعلى للأدنى - كما في الآيتين السابقتين وأما أن يدل على دعاء - إذا كان من الأدنى للأعلى - نحو قوله تعالى: «...ليقض علينا ربك...»^(٥). وأما أن

(١) طه ٢٠ / ٩١

(٢) أنظر مفتي اللبيب ١ / ٢١٠، ٢٢٣

(٣) الطلاق ٦٥ / ٧

(٤) الحج ٢٢ / ٢٩

(٥) الزخرف ٤٣ / ٧٧

يكون إلتماساً .. إذا كان موجهاً لشخصٍ مساوٍ لك - مثل: إفعل كذا، نتفعل كذا.
ولا الناهية هي أيضاً تفيد إحالة سياق الجملة إلى زمن المستقبل، وغالباً ما
يكون هذا المستقبل قريباً من زمن الحال، لأنها أساساً تستخدم لطلب الكف عن
فعل شيء،

وتتخذ أشكالاً كثيرة، فإما أن تأتي للأمر الحقيقي - إذا كانت من الأعلى
للأدنى - نحو قوله تعالى: «... ولا تقربوا الزنى» (١). وإما أن تفيد الدعاء كقوله
تعالى: «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا..» (٢). أو الإلتماس - إذا كان الأمر من مساوٍ لك
نحو قولك: لا تفعل هذا. أو التهديد، كقولك لمن هو دونك: لا تمتثل أمري، أو
النهى، نحو قوله تعالى: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم» (٣). أو
الإرشاد نحو قوله تعالى: «ولا تقف ما ليس لك به علم» (٤).

والخلاصة من ذلك أن هاتين الآتين تستخدمان في كل الأحوال لغرض دفع
الزمن للمستقبل إذا إقترنا بالمضارع (صيغة) لأنهما تغيراته إلى أمر، ومن هنا
فهو يدل على المستقبل البسيط.

د - السين وسوف ودلالتهما على المستقبل:

وهما حرفان يقترنان بالمضارع (صيغة) فيرشحان الحدث فيه من خلال
السياق للاستقبال، نحو قوله تعالى: «... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب
ينقلبون...» (٥). وقوله: «... كلا سوف تعلمون...» (٦).

وقد اختلف فيهما البصريون والكوفيون - فقد كان الكوفيون يرون أن
السين مقتطع من (سوف). وكان البصريون يرون أن كل واحد منهما مستقل

(١) الإسراء / ١٧ / ٣٢

(٢) البقرة / ٢ / ٢٨٦

(٣) طه / ٢٠ / ١٣١

(٤) الإسراء / ١٧ / ٣٩

(٥) الشعراء / ٢٦ / ٢٢٧

(٦) التكاثر / ١٠٢ / ٣

بذاته، قال ابن هشام «...السين المفردة حرف يختص بالمضارع، ويخلصه للاستقبال، وينزل منه منزلة الجزء ... وليس مقتطعا من (سوف) خلافاً للكوفيين، ولا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف خلافاً للبصريين، ومعنى قول المعربين فيها حرف تنفيس: حرف توسيع، وذلك لأنها نقلت المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال...»^(١). وقد أشرنا لهما فيما سبق آخذين برأي البصريين بأن السين تدل على المستقبل القريب وسوف تدل على المستقبل البعيد.

كما أنها تختلف عن السين في أنها تقترن باللام لتأكيد المستقبل نحو قوله تعالى: «... وسوف يعطيك ربك فترضى...»^(٢). والملاحظ مما تقدم يدرك أن سياق المستقبل الذي تتصل فيه هاتان الأدوات هو من باب المستقبل البسيط. ونفي صيغة (يفعل) التي تقترن بالسين أو سوف يكون بـ (لن يفعل).

هـ - نون التوكيد (ثقيلة وخفيفة) ودلالاتها على المستقبل :

قال أبو علي الفارسي : «النون الشديدة تلحق الفعل المستقبل للتأكيد... ومن مواضعها الأمر والنهي نحو : أضربن زيدا ولا تشتمن بكرا... وكل موضع تدخل فيه الثقيلة فالخفيفة تدخله إلا في فعل الإثنين، وفعل جماعة النساء...»^(٣). وعلى هذا الأساس فالنون تلحق (يفعل) أو (أفعل)، فهي تقترن بالأمر (صيغة) في السياق لتؤكد استقباله وتقترن بالمضارع (صيغة) لتعين وتؤكد استقباله : كقوله تعالى «... تالله لاكيدين أصنامكم...»^(٤). وقوله : «... لتفسدن في الأرض مرتين، ولتعلن علوا كبيرا...»^(٥). ويستخلص مما تقدم أن نون التوكيد سواء كانت ثقيلة أو خفيفة تعنى الاستقبال، ومن أجل ذلك لم تقترن بالماضي، وإنما تتصل بالمستقبل البسيط فتؤكد وقوعه مستقبلاً.

(١) مغني اللبيب ١ / ١٣٨، ١٣٩ وإنظر معاني الحروف (بتصرف) ٤٢

(٢) الضحى ٩٣ / ٥

(٣) الايضاح ١ / ٣٢٣

(٤) الانبياء ٢١ / ٥٧

(٥) الإسراء ١٧ / ٤

و - الأساليب ودلالاتها في سياق الجمل على الاستقبال :

الأساليب العربية تنحصر في قسمين إثنين :

الأول : يدل على الإخبار. والثاني يدل على الإنشاء. وسبب التقسيم هذا: إن الجمل في العربية إن تضمنت الصدق والكذب في دلالتها السياقية سميت أسلوباً خبرياً، وإن لم تتضمن الصدق والكذب، سميت أسلوباً إنشائياً ومعنى الصدق : ما طبقت دلالة الكلام فيه الواقع. ومعنى الكذب ما لم تطابق دلالة الكلام فيه الواقع. وإن معنى الإنشاء أن الكلام لا يحتمل الصدق لذاته، ومعنى الإخبار أن الكلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. ويصح أن يقال لقائله أنه صادق، أو كاذب لتحقيق مدلوله في الخارج، بعكس الإنشاء الذي لا يتحقق مدلوله في الخارج.

والأساليب الإنشائية هذه تكون بالقرائن (الحروف والأدوات) لا بالصيغ ويتحول مفهومها في السياق الجملي إلى المستقبل بما يتصل بها من هذه القرائن، وهي إما أن تكون طلباً تستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب كالأمر، والنهي، والدعاء، والعرض، والتحضيض والتمني، والترجي، والإستفهام، والنداء.

وأما غير طلب لا تستدعي مطلوباً ليس حاصلًا وقت الطلب كالمقاربة والتعجب، والمدح، والذم، والقسم، وما يقترن بـ (كم الخبرية)، والشرط.

وخلاصة ما تقدم إن هذه الأساليب تدل على المستقبل - في غالبيتها - من خلال السياق، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فهي تؤدي بالحروف والأدوات كما أشرنا.

ولقد أشرنا أن نستعرضها على هيئة أساليب على الرغم من كونها مقترنة بهذه بالحروف التي تعطيها هذه السمات الأسلوبية، ذلك لأننا سنشير إلى دلالتها أثناء الكلام الذي سنقتصره على الأساليب المهمة منها، والتي تتضح الدلالات الزمنية المستقبلية فيها. ويمكن أن نصنفها تسهيلاً للبحث، وانسجاماً مع هذه الدلالات السياقية إلى قسمين:

أ - الأساليب الطلبية.

ب - الأساليب غير الطلبية

أ - الأساليب الطلبية وهي:

١- الأمر : وقد تحدثنا عنه في أثناء استعراض دلالة الأمر على الزمن بالصيغة وفي أثناء حديثنا على دلالة الأمر على الزمن بالجوازم. وقلنا: إنه يدل على المستقبل القريب.

٢- الرجاء : وهو انتظار حصول شيء مرغوب فيه، ميسور التحقيق، قريب الوقوع، وأدواته (لعل وعسى). وقد أسلفنا الحديث عنهما من قبل.

٣- التمني : وهو الرغبة في تحقيق أمر محبوب في المستقبل سواء كان تحققه ممكناً في الزمن الآتي، أو غير ممكن. وأشهر أدواته (ليت) وقد يأتي بألفاظ أخرى مثل (هل)، (هلا)، (ألا) و(لولا) و(لوما) وجميع هذه القرائن إذا استعملت بمفهوم التمني تغير صيغ الأفعال إلى المستقبل ولكن هذا المستقبل غير محدد في أغلب أحواله. ونحن هنا لا نريد الحديث عن أدواته، لأننا أسلفنا الحديث عن أهمها في باب الحروف المشبهة بالفعل ودلالاتها على الزمن.

٤- العرض : وهو طلب بلين ورفق لعمل شيء في المستقبل، وأهم أدواته (قرائنه) (ألا: أما، لو، لولا). وهذه القرائن غالباً ما تتصل بالفعل المضارع صيغة، أو بما في تاويله، فإن صيغ المضارع قوله تعالى : «...لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون...» (١)، وقوله: «... لولا أخرجتني إلى أجل قريب...» (٢). وهو عموماً يدل على المستقبل.

٥- التحضيض : وهو من صيغ الماضي أصلاً ويعني الطلب بإصرار على عمل

(١) النمل ٢٧ / ٤٦

(٢) المنافقون ٦٣ / ١٠

شيء في المستقبل وأدواته (هلا، وإلا، ولوما) وتقترن أدواته هذه بالماضي والمضارع (صيغة) فتدفع صيغتيهما من خلال السياق إلى المستقبل، وغالباً ما يختلف عن العرض في طريقة القاء المتكلم للكلمات في الأداء الصوتي. نحو قولك بقوة للطلاب: لوما تدرسون، وللعمال: هلا تعملون.

٦- النداء، والندبة، والاستغاثة: أساليب تؤدي بحروف (قرائن) هي (يا، أي، أيا، هيا، أو، وا، أي). وتستعمل (يا) للاستغاثة. و (وا، يا) للندبة. وكل هذه القرائن تفيد طلب العمل على جهة الأمر أو الإغاثة كما أنها تكسب الأساليب دلالة الاستقبال القريب من زمن الحال ومن ذلك قوله: تعالى في النداء «...يا قوم، لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة...»^(١). وقوله في الندبة: «...يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله...»^(٢). وقوله في الاستغاثة يالله من ألم الفراق.

٧- الإغراء والتحذير: وهما أسلوبان يدلان على الالتزام بشيء محبوب في المستقبل، أو الابتعاد عن شيء مكروه وقوعه في المستقبل أيضاً. ويأتيان بصيغة الأمر البسيط القريب نحو قول الرسول (ص) في التحذير من المرأة الجميلة في منبت السوء: «إياكم وخضراء الدمن...»^(٣). وقولك في الإغراء: العلم، فإنه نور الحياة.

ونستخلص مما تقدم أن هذه الأساليب في عامتها - على ما أرجح - تدل على المستقبل القريب، كما أنها تؤدي بقرائن مع صيغة الأفعال الصرفية، فهي تدل على المستقبل البسيط في عامة أساليبها، يضاف إلى ذلك أن غالبيتها تؤكد مضمون دلالة المستقبل للجملة في السياق. وقليل منها يقب الصيغة الماضية إلى دلالة المستقبل كما في التحضيض والعرض إذا أصبحت القرائن أفعالاً ماضية.

(١) النمل ٢٧ / ٤٦

(٢) الزمر ٣٩ / ٥٦

(٣) المجازات النبوية / ٦١

ب - الأساليب غير الطلبية :

وسوف نستعرض أهمها وهو الشرط الذي تقترن به الأدوات لا الأسماء. فالشرط قسمان جازم، وغير جازم. يؤدي بالأدوات، ويؤدي بالأسماء، وستعرض إلى الشرط الجازم وغير الجازم الذي يؤدي بالأدوات فقط، ذلك لأن دلالة الزمن المستقبل فيه من خلال السياق واضحة وجلية.

فالشرط الجازم مهما كانت صيغة فعل الشرط أو الجواب فيه، فإن الزمن فيه للمستقبل المحض. بسبب القرينة الجازمة على الرغم من أن كلتا الجملتين إحداهما فيه، قد تكون بعض الأحيان بصيغة الماضي الصرفي، ذلك لأنه من المؤكد أن أداة الشرط الجازمة (القرينة) تجعل زمن شرطها وجوابها من خلال السياق مستقبلاً محضاً. ومن المؤكد أيضاً من سير السياقات أن وقوع مضمون الجواب متوقف على تحقق الشرط ومعلق به، إذ «... لا فرق في هذا بين أن تكون الأداة مقتصرة في معناها على التعليق - مثل أن - أم متضمنة معه معنى آخر كالزمانية... مما يتضمنه بعض الأدوات الأخرى...»^(١).

ونستطيع أن نقول: أن أداة الشرط الجازمة (أن) علامة قاطعة على الاستقبال سواء اقترنت بالماضي أو بالمضارع، ويستخلص هذا الاستقبال من مجموع مفهوم جملي الشرط والجواب، ذلك لأنهما في الحقيقة جملة واحدة تؤدي إلى مفهوم معين إذ لا مفهوم لإحداهما دون الأخرى من خلال السياق، وعلى هذا الأساس ارتبطت جملة جواب الشرط الجازم بجملة الشرط برابط غالباً ما يكون الفاء، والذي ما أدى إلى الإتيان بهذه الفاء في الجزاء أن أساس الجواب فعل مستقبل لأنه شيء مؤكد حصوله إذا تحقق فعل الشرط.

(وأن) هي التي تصل الشرط بالجواب وصلاً قوياً. فإذا صادف في الشرط أن يجازي (بالمبتدأ والخبر) نياية عن (فعل الجواب المستقبل)، ربط بحرف رابط

(١) النحو الوافي ٤ / ٣٩٦ - ٦٩٧

يشعر بأن (جملة المبتدأ والخبر) التي هي الجواب سيتحقق مضمونها بالمستقبل مباشرة بعد حصول الشرط، ولهذا ربطوا هذه الجملة بالفعل، أو ثم (١) دون غيرها من الروابط الأخرى.

ومن أدوات الشرط التي تحيل الدلالة الزمنية في الجملة إلى المستقبل هي أدوات الشرط غير الجازمة مثل (إذا) و(لو) اللتين تستعملان فيما يحتمل تحققه وعدم تحققه. والغالب في (إذا) أن يأتي بعدها (فعل) كقوله تعالى: «...إذا جاء نصر الله...» (٢). وقد يليها (يفعل).

وأما (لو) فلا يليها في الإختيار إلا الماضي، وقد يليها المضارع. وهي قليلة الاستعمال بالنسبة إلى (أن) و(إذا). وإستعمالها قياسي من ذلك قول القائل/ لو يشتد الحر في الصيف المقبل، اصطاف الناس في شمال العراق.

ومعناها الدلالة على الشرط الحقيقي، وتقتضي تعليق أمر على أمر آخر، وجود أو عدمه في المستقبل «...ولابد لها من جملتين، ترتبط الثانية منهما بالأولى ارتباط السبب بالسبب - غالباً - بحيث لا يتحقق في المستقبل معنى الثانية ولا يحصل إلا بعد تحقق معنى الأولى وحصوله في المستقبل، فكلاهما لا يتحقق معناه إلا في المستقبل، غير أن معنى الثانية مترتب على معنى الأولى الذي لا يمتنع هنا» (٣).

ومن أجل ذلك أن (لو) الشرطية غير الامتناعية، تشبه (أن) فهما يفيدان - غالباً - ربط الجواب بالشرط، ويوجبان أن يكون زمن الفعل في ركني الجملة مستقبلاً معها ومن ذلك قول الشاعر: (٤)

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت علي ودوني جنـدل وصفـائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا إليها صدى من جانب القبر صائح

(١) انظر الاساليب الإنشائية ١٦٨ - ١٦٩

(٢) النصر ١ / ١١٠

(٣) النحو الواقي ٤ / ٤٦١ - ٤٦٢

(٤) انظر أمالي القاضي ١ / ١٩٧ البيتان لـ (توبة بن الحمير)

أساليب وصيغ مشتركة في الدلالة على الزمن

١- الماضي الصرقي :

يصلح معناه للمضي والحال والاستقبال إذا وقع بعد همزة التسوية بشرط أن لا تقع بعده قرينة تحدد مفهومه الزمني من خلال السياق نحو قولك : سواء على أقيمت أم قعدت. فهو يحتمل وقوع الحدث في الماضي، أو في وقت الحال، أو المستقبل، ولا فرق في التسوية بين أن تكون مقترنة بـ (أم) التي للمعادلة، أو غير مقترنة نحو قولك: سواء علي أي وقت جئتني.

وإذا كان الفعل الذي بعد (أم) مضارعاً مقرونناً بـ (لم) تعين زمنه للمضي، بسببها مثل قوله تعالى : «...سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم...» (١). وكذلك يصلح زمن الماضي الصرقي للمضي والحال والمستقبل إذا جاء بعد (كلما) شريطة أن لا توجد قرينة تعين الزمن في السياق وذلك نحو قول القائل: كلما درست، فهمت المادة فهما جيداً.

٢- المصدر:

والمصدر من الصيغ التي تستعمل استعمال الفعل. وربما فإن الأقدمين أن يلحقوه بالفعل، كما فعل الفراء في لحاق إسم الفاعل بالفعل. ويستخدم المصدر استخدام الفعل في موضعين إثنيين:

أحدهما : أن يكون نائباً عن الفعل - وقد أشرنا إلى دلالاته على الزمن في موضوع دلالة الأمر على المستقبل بالصيغ - لاسيما إذا كان منوناً منصوباً.

والثاني : أن يكون مؤولاً (بأن والفعل) و (بما والفعل) إذا قصد به المضي أو الاستقبال نحو : عجبت من ضربك زيدا. ومما يؤيد ما ذهبنا إليه قول ابن عقيل: «أن يكون المصدر مقدراً بأن والفعل أو بما والفعل... فيقدر بأن إذا أريد به المضي أو الاستقبال نحو : عجبت من ضربك زيدا أمس أو غداً، والتقدير من أن

(١) البقرة ٦/٢

ضربت زيدا أمس، أو من أن تضرب زيدا غدا، ويقدر بما إذا أريد به الحال نحو :
عجبت من ضربك زيدا الآن والتقدير : مما تضرب زيدا الآن...» (١) . والتقدير هذا
يتوقف على قصد المتكلم وفهم السامع أو القارئ.

تضافر القرائن وتدافعها لتحديد مفهوم الزمن في سياق الجمل :

يحدثنا فيما مضى عن القرائن وأهميتها في تحديد مفهوم الزمن السياقي
للجملة العربية ونأتي هنا على شرح هذه الظاهرة شرحا عاما سريعا يعطي
لدارس فكرة عامة على هذه القرائن إذا اجتمعت مع بعضها أو مع الصيغة.
سواء تضافرت على تحديد مفهوم الزمن أم تدافعت، وكانت إحداها لها الأولوية
في التحديد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سنحاول أن نلقي الضوء على
العلاقة بين هذه القرائن وبين الصيغ الصرفية وفيما يلي تبين ذلك:

١- أنه قد تتفق القرينة، أو القرائن مع الصيغة في تحديد مفهوم الزمن في
السياق :

وتكون القرينة حينئذ مؤكدة لزمان الصيغة الفعلية، أو مؤكدة ومحددة
للزمن على جهة الصيغة نحو قوله تعالى: «وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في
الأرض خليفة...» (٢). وقوله : «وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء
العذاب...» (٣). وقوله «وإذ وأعدنا موسى أربعين ليلة...» (٤) فإن (إذ) تدل في
محتواها هنا على الماضي. والأفعال المتقدمة في الآيات كلها ماضية غير أن الظرف
جاء مؤكدا صيغة الأفعال من دون تحديد هذا المضي، والسياق يشير إلى أنه
ماض بسيط.

(١) شرح ابن عقيل على الألفية / ٢ / ٧٦

(٢) البقرة / ٢ / ٣٠

(٣) البقرة / ٢ / ٤٩

(٤) البقرة / ٢ / ٥١ . وفيها قراءة (وعدنا)

وقد تأتي القرينة على جهة الصيغة الفعلية في الدلالة على الزمن مثل (قد) التي تؤكد صيغة المضي ولكنها تحده في الدلالة على الزمن القريب من الحال. إن لم تقترن بـ (كان)، فإن إقترنت بها، حددت دلالاته بالزمن الماضي البعيد، فكأنها تحصره في فترة معينة من فترات الماضي نحو قوله تعالى : «...وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه...»^(١) فـ (قد) هنا في هذه الآية خصصت الماضي بالانقطاع البعيد على جهة المضي، ولكنها - مثلاً - في قوله تعالى : «...قد ترى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها...»^(٢) خصصت المضارع بالتوقع في المستقبل بدليل القرينة الثانية (نون التوكيد) التي تدفع بالزمن إلى المستقبل أيضاً في سياق الجمل. وكذلك قوله تعالى : «ولن ترضى عنك اليهود، ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...»^(٣).

فلن : للمستقبل.

والفعل : على جهة الاستقبال

وحتى : للمستقبل

فنحن هنا نلاحظ أن القرائن قد تضافرت مع الصيغة في هذه الآية لتحديد المستقبل، وكذلك نوعه بأنه مستقبل قريب من الحال. ومن هنا يدرك الدارس أنه قد تتفق القرينة الواحدة، أو القرائن الكثيرة مع الصيغة لتحديد دلالة الزمن كما في قولك سأذهب غداً إلى المكتبة إن أصبح بخير. (فالسین وغداً) وإن تضافرتا مع صيغة (اذهب) لتحديد المستقبل القريب من الحال، إلا أنهما حددتا وأكدتا الزمن القريب جداً.

٢- تدافع القرائن مع الصيغة:

فقد تكون الصيغة الصرفية ماضية والقرينة حالية، أو مستقبلية أو

(١) البقرة ٢ / ٧٥

(٢) البقرة ٢ / ١٤٤

(٣) البقرة ٢ / ١٢٠

بالعكس. فمن القرائن الحالية معنوياً مع وجود الصيغة ماضية قولك : زوجتك. وقوله تعالى «... ونفخ في الصور...»^(١)، ومن القرائن اللفظية التي تتدافع مع الصيغة على سبيل المثال (إذا) أن أنت قبل الماضي - نحو قوله تعالى «... وإذا أظلم عليهم، قاموا...»^(٢). وقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا، قالوا آمنا...»^(٣). وقوله «وإذا قيل لهم إتبعوا ما أنزل الله: قالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا...»^(٤).

فإننا نلاحظ أن الأفعال التي وقعت بعد (إذا) جميعها ماضية الصيغة غير أن الزمن يدل على المستقبل من خلال السياق تحدد بواسطة الظرف (إذا) وهذا بطبيعة الحال يشير بوضوح إلى أن كثيراً من القرائن أقوى من الصيغ في الدلالة مما جعلها هي - أي القرائن - تضيفي دلالتها على السياق، كما في الحال مع (أن) فإنها تتدافع مع صيغة الماضي فتحيل سياقها للمستقبل نحو قوله تعالى : «وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين...»^(٥). وقوله «إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأوا بسورة من مثله...»^(٦). فإن هذه الحالات وإن حصلت في الماضي إلا أنها تتحدى هؤلاء الشاكين في المستقبل (فإن) هنا دفعت زمن السياق إلى المستقبل.

وهذا ما نراه في استعمال (إن)، إذا ما أتى بعدها مضارع صيغة، دفعت به إلى الماضي كما في قوله تعالى : «وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت...»^(٧).

٣- تدافع القرائن مع بعضها البعض :

إن القرائن كثيراً ما تتدافع إذا اجتمعت، في تحديد مفهوم الزمن نحو قوله

(١) الكهف ١٨ / ٩٩

(٢) البقرة ٢ / ٢٠

(٣) البقرة ٢ / ٧٦

(٤) البقرة ٢ / ١٧٠

(٥) البقرة ٢ / ٢٣

(٦) البقرة ٢ / ٢٣

(٧) البقرة ٢ / ١٢٧

تعالى : «فإن لم تفعلوا، ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
...» (١). فلو تأملنا في هذه الآية، نلاحظ ما يأتي:

تفعلوا: حال أو مستقبل.

اتقوا : حال أو مستقبل.

أن : أداة (قرينة) مستقبل.

لم : قرينة مضي.

لن : قرينة مستقبل.

القرينة المعنوية : مستقبل.

ومن التحليل نستخلص : أن (تفعلوا، اتقوا، فعلان اتقوا (صيغة) على جهة
الحال والاستقبال.

و (أن، لن) قرينتان إتفقتا على جهة الإستقبال (دلالة). واتفقتا مع القرينة
المعنوية.

و (لم) تدافعت مع الصيغتين والقرينتين على جهة المضي، غير أن (أن) هي
التي تدافعت مع (لم)، وأكدت مدلول القرائن الأخرى والصيغ على جهة
الاستقبال، فأعطت السياق معنى الزمن المستقبل، وهذا يدل على أنها أقوى
القرائن في إضفاء الدلالة على السياق في مجال الشرط. ومن هنا نستطيع أن
نقول: أن القرائن أقوى من الصيغ في الدلالة على تحديد مفهوم الزمن في سياق
الجملة. فلو نظرنا أيضاً في قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله...» لوجدنا ما يأتي:

كنتم : ماض صيغة (فعل مساعد)

نزلنا : ماضي صيغة

(١) البقرة ٢ / ٢٤

فأتوا : أمر صيغة مستقبل.

إن : قرينة مستقبل.

ومن الملاحظة هنا نحصل على : تدافع بين (نزلنا) وبين (فأتوا) وتدافع بين (أن) أداة (قرينة)، وبين (كنتم) قرينة مساعدة وتوافق بين (كنتم) فعل مساعد (قرينة) وبين (نزلنا) صيغة.

ومما تقدم نلاحظ أن (أن) أحالت زمن (كنتم ونزلنا) إلى المستقبل وأكدت زمن (فأتوا) وبذلك حصل إنسجام في الوظيفة الزمانية للكلمات في الجملة فدلّت بكل أجزائها على المستقبل القريب على الرغم من كونه الآية نزلت لتحديد ماضٍ، لأنها ستبقى في وضع تحدد لكل شاك في المستقبل.

ونستخلص ما تقدم أن الأدوات (القرائن) أقوى من الصيغ في الدلالة على الزمن في سياق الجمل. كما أن الأدوات (القرائن) نفسها بعضاً أقوى من البعض الآخر.

انتهى البحث والله الموفق

الفهارس العامة

أهم مصادر البحث ومراجعته

- ١- إبراهيم السامرائي (دكتور) : الفعل زمانه وأبنيته - مطبعة العاني بغداد- ١٩٦٦م
- ٢- إبراهيم مصطفى : أحياء النحو - مطبعة التاليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٩م
- ٣- إبراهيم بن هرمة : شعر إبراهيم بن هرمة - تحقيق محمد نفاع، وحسين عطوان - مطبعة المجمع العلمي - دمشق .
- ٤- ابن الأثيري (عبد الرحمن بن محمد) (٥٧٧هـ) : الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - ط٤ - مصر - ١٩٦١م - اسرار العربية - مخطوط - دار الكتب - نحو ٤٠
- ٥- تمام حسان (دكتور) : اللغة العربية معناها ومبناها - مطابع الهيئة المصرية - مصر ١٩٧٣م - مناهج البحث في اللغة - مطبعة مكتبة الإنجلو - مصر ١٩٥٥م
- ٦- خير الدين الزركلي : الإعلام - ط٣ - بيروت - ١٩٦٩م
- ٧- ابن دريد (محمد بن الحسن ٣٢١هـ) : الإشتقاق - تحقيق عبد السلام محمد هارون - مطبعة السنة المحمدية - مصر - ١٩٥٨م
- ٨- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق ٣٣٧هـ) : الإيضاح في علل النحو - تحقيق مازن المبارك - مطبعة المدني - مصر - ١٩٥٩م.
- ٩- سبتيانو موسكاتي : الحضارات السامية القديمة - ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر - دار الكاتب العربي القاهرة.
- ١٠- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) (١٨٠هـ) : الكتاب - المطبعة الأميرية - ط١ - بولاق - مصر - ١٣١٦هـ.

- ١١- السيد يعقوب بكر (دكتور) : نصوص في النحو العربي (من القرن الثاني إلى الرابع) - دار النهضة العربية - ١٩٧٠م.
- ١٢- السيرافي (الحسن بن عبد الله ٣٦٨هـ) : أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزيني ومحمد عبد المنعم - ط١ - مصر ١٩٥٥م.
- ١٣- السسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ٩١١هـ) : الاقتراح في علم أصول النحو - مطبعة دائرة المعارف العثمانية - الدكن - ١٣١٠هـ.
- ١٤- الشريف الرضي : المجازات النبوية - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر - ١٩٣٨م.
- ١٥- الصبيان : (محمد بن علي ١٢٠٦هـ) : حاشية الصبيان على شرح الأشموني على الفية ابن مالك - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة .
- ١٦- طه الراوي : نظرات في اللغة والنحو - المطبعة التجارية - ط١ - بيروت - ١٩٦٢م.
- ١٧- عباس حسن : النحو الوافي - مطبعة دار المعارف - ط٤ - مصر .
- ١٨- عبد الستار الجواربي (دكتور) : نحو التيسير - مطبعة سلمان الأعظمي - بغداد - ١٩٦٢م.
- ١٩- عبد السلام محمد هارون (دكتور) : الأساليب الإنشائية في النحو العربي - مطبعة السنة المحمدية - ١٩٥٩م.
- ٢٠- عبد الله بن عقيل (٦٧٢هـ) : شرح بن عقيل - مطبعة السعادة ط٦ - القاهرة ١٩٥١م.
- ٢١- عبد الله بن يوسف (ابن هشام) (٧٦٠هـ) : الإعراب عن قواعد الإعراب - مصر - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - مصر - مغني اللبيب عن كتب الأعراب - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مصر.
- ٢٢- عبد القاهر بن عبد الرحمن (الجرجاني) (٤٧١هـ) : الجمل - تحقيق علي حيدر - منشورات دار الحكمة - دمشق - ١٩٧٢م - دلائل الإعجاز في علم المعاني - تصحيح الشيخ محمود الشنقيطي - نشر مكتبة القاهرة - ١٩٦١م.
- ٢٣- علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ) : معاني الحروف - تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي - مطبعة دار العالم العربي - القاهرة .

- ٢٤- أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ) : المسائل الشيرازيات في النحو العربي - مخطوط - مكتبة راغب - تركيا - ١٣٣٧ عام - المسائل الشيرازيات في النحو العربي - تحقيق علي جابر المنصوري - رسالة دكتوراه - جامعة عين شمس (كلية الآداب) - مصر - ١٩٧٦م - أقسام الأخبار - مخطوط - معهد المخطوطات - نحو ١٦ - الإيضاح العضدي - تحقيق حسن شاذل فرهود - ط١ - مصر - ١٩٦٩م.
- ٢٥- علي بن محمد النحوي الهروي (٤١٥هـ) : الأزهية - تحقيق عبد المعين الملوحى - دمشق - ١٩٧١م.
- ٢٦- فاضل الساقى : إسم الفاعل بين الإسمية والفعلية - المطبعة العالمية - مصر - ١٩٧٠م.
- ٢٧- فؤاد أفرام اليستاقى : دائرة المعارف - م٤ - بيروت - ١٩٦٢م
- ٢٨- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) : الشعر والشعراء - مطبعة دار الثقافة - ط٢ - ١٩٦٩م
- ٢٩- محمد بن يزيد (المبرد) (٢٨٥هـ) : المقتضب - تحقيق عبد الخالق عضيمة - القاهرة - ١٣٨٨هـ.
- ٣٠- ابن منظور : (محمد بن مكرم ٧١١هـ) : لسان العرب - دار صادر - بيروت - ١٩٥٥م.
- ٣١- مهدي المخزومي (دكتور) : في النحو العربي قواعد وتطبيق - مطبعة مصطفى الحلبي - ط١ - مصر - في النحو العربي نقد وتوجيه - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت .
- ٣٢- يحيى بن علي (التبريزي) (٥٠٢هـ) : شرح القصائد العشر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة المدني - ط١ - مصر ١٩٦٢م.

كتب وبحوث للمؤلف

المسائل العسكرية في النحو العربي - لأبي علي الفارسي دراسة وتحقيق - مطبعة
الجامعة - ط ١ وط ٢ - بغداد ١٩٨٢

المسائل الشيرازيات في النحو العربي - لأبي علي الفارسي - دراسة وتحقيق - مجلدان
- في دور الإنجاز - مطابع مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت.
محمد رضا الشبيري ومكانته الأدبية بين معاصريه - مطبعة بابل - ط ١ بغداد
١٩٨٢.

كتاب أقسام الأخبار في النحو - لأبي علي الفارسي - تحقيق - مجلة المورد - المجلد ٧
- العدد ٣ - بغداد ١٩٧٨ م.

كتاب شرح الأبيات المشككة الإعراب في النحو العربي - تحقق - مجلة المورد - المجلد
٩ - العدد ١ - بغداد ١٩٨٠.

الفارسي ومذهبه اللغوي في الشيرازيات - بحث - مجلة كلية الإمام الأعظم - العدد ٤
- ١٩٧٨ م.

الجملة ونظامها - بحث - مجلة الرسالة الإسلامية - العددان ١٢٧ و١٢٨ - وزارة
الأوقاف العراقية ١٩٧٩ م.

إبن دريد - حياته - آثاره - مقصورته - بحث - مجلة كلية الشريعة - العدد ٥ -
بغداد ١٩٧٩ م.

جملة الماضي والحاضر والمستقبل - بحث - مجلة كلية الشريعة - العدد ٦ بغداد
١٩٨٠ م.

قطرب ومنهجه النحوي واللغوي - بحث - مجلة كلية الشريعة - العدد ٧ - بغداد
١٩٨١ م.

- الدلالة الزمنية في الجملة العربية - مطبعة الجامعة - ط ١ - بيغداد ١٩٨٤ م.
- حركة النقد الأدبية في القطر الجزائري - بحث - مجلة عالم الكتب / م ٤ / ع ٢ المملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ -
- المسائل العضديات في النحو واللغة - لأبي علي الفارسي - تحقيق - مطابع عالم الكتب بيروت ١٩٨٥ .
- أبو الخطاب - الأخفش الكبير ومذهبه النحوي واللغوي - بحث - سيدفغ للمطبعة .
- أبو علي الفارسي والدراسات اللغوية والصوتية سيدفغ للمطبعة .
- القصة في مقدمة القصيدة العربية - بحث - يطبع في المستقبل

فهرست الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	السورة ورقمها
		١- الفاتحة :
٣٨	٤	مالك يوم الدين
٤٦	٧	صراط الذين أنعمت عليهم
		٢- البقرة :
١٠١	٦	سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم
٧٤	٢٠	يكاد البرق يخطف أبصارهم
٧٤	٢٠	وإذا أظلم عليهم قاموا
	٢٣	وادعوا شهداءكم من دون الله
	٢٣	إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
٢٦	٢٤	فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة
٦٠	٣٠	وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة.
٥٧	٣١	فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء
	٣٣	قال : يا آدم أنتبهم بأسمائهم
٥٥	٣٥	وقلنا : اهبطوا بعضكم لبعض عدو
		وقلنا : يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً
		حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من
٤٦	٣٥	الظالمين...
٤٦	٤٠	أذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي...
٨١	٤٨	واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً
	٤٩	وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب...
	٥١	وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة
٥٧	٧١	قال : إنه يقول : إنها بقرة لا تلول تثير الأرض

٤٧	٧٥	وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه .. وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا قويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم
	٧٦	
٧٣	٧٩	وويل لهم مما يكسبون
٥٧	٩١	قلم تقتلون أنبياء الله من قبل فأله يحكم بينهم يوم القيامة وإن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
٨١	١١٣	
٨٤	١٢٠	حتى تتبع ملتهم
٦٠	١٢٤	وأن ابتلى إبراهيم ربه
٦٠	١٢٧	وإن يرفع إبراهيم القواعد من البيت قد ترى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها..
	١٤٤	
	١٤٥	وما أنت بتابع قبلتهم
	١٧٠	قالوا : بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا وزلزلوا حتى يقول الرسول وإذا طلقتم النساء واتقوا يوماً ترجعون فيه ربنا لا تواخذنا أن نسينا
٧١	٢١٤	
٣٦	٢٣١	
	٢٨١	
	٢٨٦	
		٣- آل عمران :
٥٥	٦١	ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك ألا ما دمت عليه قائماً..
٤٨	٧٥	
	١٠٨	تلك آيات الله تتلوها عليك بالحق وإن غدوت من أهلك ليس لك من الأمر شيء ربنا اغفر لنا ذنوبنا
٦٠	١٢١	
٧٤	١٢٨	
٧٤	١٤٧	
		٤- النساء :
٨٣	٩	فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً

٨٢	١٩	فعمسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً
٢٦	٤٣	لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى
٨٣	٧٣	ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة
		عمسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ويستفتونك في
٨٩	٨٣	النساء قل الله يفتيكم
٥٥	١٢٧	فيهن. وما يتلى عليكم في الكتاب
		٥- المائة :
		وإذا حللتم فاصطادوا أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا
٨٥	٣	نذير
٤٧	١٩	فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير
٨٢	٤٠	يعذب الله من يشاء ويغفر لمن يشاء
٨٥	١٠٥	عليكم أنفسكم لا يضركم من ظل إذا اهتديتم
٧٢	١١٣	وتكون عليها من الشاهدين
		٦- الأنعام :
٧٣	٢٢	أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
٧١	٩١	تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً
٦٥	٩٦	فالق الأصباح...
		٧- الأعراف :
٥١	٢٢	وطبقاً يخصفان..
		٨- الأنفال :
٦٠	٢٦	وأذكروا إذ أنتم قليل
٦٠	٣٠	إذ يمكر بك الذين كفروا...
		٩- التوبة :
٦٠	٤٠	إذ هما في الغار إذا ما أتوك لتحملهم قلت
٦٠	٩٣	لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
٨٤	٩٦	ولا يرضى

		١٠ - يونس :
٧١	٣	ثم استوى على العرش يدبر الأمر
٧١	١٠	فأتوا بسورة من مثله
٧٤	٢١	إذا لهم مكر...
		١٢ - يوسف :
		وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا : يا أبانا انا ذهبنا
		نستبق، وتركنا يوسف عند
٤٧	١٦ و ١٧	متاعنا فأكله الذئب...
٥٠	٩١	تالله لقد أترك الله علينا
		١٤ - إبراهيم :
٨٩	٤٩	وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد
		١٦ - النحل :
٧٠	١٦	فكلوا مما رزقكم الله
٨٥	١٢٤	إن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة ..
		١٧ - الإسراء :
٨٩	٨	عسى ربكم أن يرحمكم
	٣٢	ولا تقربوا الزنى
	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم
٨٥	٤٠	لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً
		١٨ - الكهف :
٧٠	١٨	وكلبهم باسط نراعيه بالوصيد ويقولون : يا ويلتنا ما
		لهذا الكتاب
٨٢	٤٩	لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
٨١ - ٤٠	٩٩ و ٥١	وتفخ في الصور فجمعناهم جمعاً..
		١٩ - مريم :
٢٦	٣٣	السلام علي يوم ولدت
٨٣	٦٦	ويقول الإنسان إذا ما مت لسوف اخرج حياً

		٢٠- طه :
٧٢	٢٠	فإذا هي حية تسعى
	٩١	لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى
	١١٩	وإتك لا تظمئوا فيها ولا تضحى
	١٣١	ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم
		٢١- الأنبياء :
٢٦	٣	وأسروا النجوى الذين ظلموا
٤٨	١٥	هل هذا إلا بشر مثلكم
	٥٧	فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين..
		تالله لأكيدن أصنامكم
٧٢	٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله ..
٣٦	١٠٤	وعداً علينا إنا كنا قاعلين
		٢٢- الحج :
	٢٩	نم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذروهم..
		٢٣- المؤمنون :
٥٤	٤٤	كلما جاء أمة رسولها كذبوه ...
		٢٥- الفرقان :
٧٢	٨	تكون له جنة يأكل منها
٨٣	٤٢	وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً ..
		٢٦- الشعراء :
٧٢	٧١	نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين
٨٢	٢٢٧	وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..
		٢٧- النمل :
	٤٦	لو لا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ..
		٢٨- القصص :
٧٠	١٥	هذا من شيعته وهذا من عدوه..

		٣٣- الأحزاب :
٨٤	١	يا أيها النبي إتق الله، ولا تطع الكافرين والمنافقين
	٦٣	وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ..
		٣٦- يس :
٨٦	٣ و ٢	والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين
٧٣	١٢	إننا نحن نحوي الموتى ونكتب ما قدموا وآنأرهم
٦	٢٧ و ٢٦	يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي ..
		٣٧- الصافات :
٨٣	١٧٥	وأبصرهم فسوف يبصرون..
		٣٨- ص :
	٣	ولات حين مناص..
	٣٣	« فطفق مسحاً »
		٣٩- الزمر :
٨٤	٧	ولا يرضى لعباده الكفر..
		قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب
٦٥	٤٦	والشهادة..
٨٢	٥٦	أن تقول نفس : يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله..
٨٦	٦٨	ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض
		٤١- فصلت :
٨٥	٤٠	إعملوا ما شئتم ..
		٤٣- الزخرف :
	٣٨	يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين
	٧٧	ليقض علينا ربك ..
		٤٧- محمد :
٨٥	٤	فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
٨٧	١٥	كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم

		٥٠- قى :
٨٢	٣٠	يوم نقول لجهنم . هل امتلات ؟ وتقول :
	١٦	هل من مزيد ؟ ..
		٥٢- الطور :
٨٥	١	فأصبروا أو لا تصبروا..
		٥٣- النجم :
٧٤	٢٦	والنجم إذا هوى ..
		٥٤- القمر :
٨٣	٨٢	فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً ...
		٥٦- الواقعة :
٦٠	٨٤	وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون
٧١	٢٣	وأنتم حينئذ تنظرون..
		٥٧- الحديد :
٨٩	١	لكيلا تأسوا على ما فاتكم...
		٥٨- المجادلة :
٤٦	١١	قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
		٦٢- الجمعة :
	١٠	إذا راوا تجارةً أو لهواً انفضوا إليها ..
		٦٣- المنافقون :
	١	لولا أخرجتني إلى أجل قريب ..
		٦٥- الطلاق :
	٧	لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً
	٢٤	لينفق ذو سعة من سعته ..
		٧٢- الجن :
٨٣	٣٠	فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً ..
		٧٥- القيامة :
	٤٦	إلى ربك يومئذ المساق ..

		٧٩- النازعات :
	٤٦	كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً..
		٨٦- الطارق :
٨٥	١٧	فمهل الكافرين أمهلهم رويداً ..
		٩٢- الليل :
٧٤	١	والليل إذا يغشى..
٨٤	٢١	ولسوف يرضى ..
		٩٣- الضحى :
٨٣	٥	ولسوف يعطيك ربك فترضى ..
		٩٩- الزلزلة :
	٤	يومئذ تحدث أخبارها ..
		١٠٢- التكاثر :
٨٢	٣	كلا سوف تعلمون ..
		١١٠- النصر :
	١	إذا جاء نصر الله ..
		١١٢- الإخلاص :
٦١	٤٣	لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً احد ..

فهرست الأحاديث الشريفة والأمثال

الصفحة	الأحاديث
٨٨	قول الرسول (ص) «إن هذا لحري إن خطب أن ينكح»
٨٨	قال الرسول (ص) «واخلولق بَعْدَ تفرق»
٩٨	قال الرسول (ص) «إياكم وخضراء الدمن ...»
	الأمثال
٧١	« إنك لا تجني من الشوك العنب »
٧١	« بالبر يستعبد الحر »
٧١	« قبل الرماء تملأ الكناثن »

فهرست الشعر والرجز

قول الشاعر :

ولو إنَّ ليلى الأخيلىة سَأَمْتُ
عَمِّي ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدئى من جانب القبر صائح

قول الشاعر :

وتقدرون فتضحك الأقدار

قول زفر بن الحارث :

وكننا حسبنا كل بيضاء شحمة
ليالي لاقينا جذاماً وحميماً

قول أبي تمام :

قد كان يسواه الخليفة جانباً
من قبله ضمماً على الأقدار

قول الشاعر :

يا ليت أيام الصبا رواجعا

قوله :

يا ليل طل . يا نوم زل

قول الأعشى :

رضيعة لبانٍ ثدي أم تحالفا
باسحهم داجٍ عَوْضٍ لا تتفرق

قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها
بَلَّةُ الأَكْفِ كأنها لم تخلق

قول لبيد بن ربيعة :

من حياة قد سئمتنا طولها
ووحسري طول عيشي أن يمل

قال الشاعر :

فهيئات هيئات العقيق ومن به
وهيئات خل بالعقيق نواصله

قال البحري :

وكانت قد أغبرت رباهما وأظلمت
جوانب قطريها وبان إختلالها

قال حسان بن ثابت :

يفشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

قول امرئ القيس :

تصد وتبدي عن أسيل وتثقي
بناظرة من وحش وجرة مطلق

قال الراجز :

شفتان هذا والعنق والنوم
والمشرب البارد في ظل النوم

قال الشاعر :

وندمان يزيد الكأس طيباً
سقيت إذا تغورت النجوم

فهرست الأعلام

القاضي (أبو يوسف)	إبراهيم أنيس
الكسائي	الأزهري
ليبد بن ربيعة	إبن أبي إسحاق (عبد الله)
المبرد (محمد بن يزيد)	الأشموني
الرسول (ص) (محمد بن عبد الله)	الاعشى
المخزومي (الدكتور مهدي)	البحثري
إبن منظور	أبو تمام
موسكاتي (سبتنو)	حسان بن ثابت
النميري (أبو حية : الهيثم بن الربيع)	الجرجاني
إبن هرمة (إبراهيم)	الرشيد (هارون)
إبن هشام	الزجاجي
	زفر بن الحارث
	سراقة بن مالك
	السخدي (أبو عطاء)
	سيبويه
	السيوطي
	إبن عقيل
	الفارابي
	القارسي
	الفراء



المحتوى

٥	التمهيد
	الفصل الأول : مسار الدراسة النحوية والعوامل التي وقفت في وجه
٧	التطور النحوي
٩	مسار الدراسة النحوية
١٣	العوامل التي وقفت في وجه التطور النحوي
٢٠	نحو الكلمة ونحو الجملة
٢٣	الفصل الثاني : الجملة
٢٥	الجملة
٢٥	الجمل من حيث الإعراب
٢٨	الجمل بإعتبار الإسناد
٢٩	الجملة الإسمية
٣٠	الجملة الظرفية
٣١	الجملة الفعلية
٣٧	الجملة الفعلية التي لا يقصد بها الزمن
٣٨	الجملة الفعلية الزمنية
٤٣	الفصل الثالث : الجملة الماضية
٤٥	١- وظيفتها
٤٨	٢- أنواع الجملة في الدلالة على الماضي
٥٣	٣- مكونات الجملة التي تفيد الزمن الماضي
٥٣	أولاً : بالصيغ
٥٤	ثانياً : بالقرائن

٥٤	١- القرائن التاريخية
٥٤	٢- القرائن المعنوية
٥٥	٣- القرائن اللفظية
٥٥	أ- النواسخ
٥٧	ب- الأفعال التامة
٥٧	ج- الظروف
٦١	د- الحروف
٦٣	ما يؤدي وظيفة الأفعال في الجملة
٦٣	أ - إسم الفاعل
٦٦	ب - إسم المفعول
٦٧	الفصل الرابع : الجملة الحالية
٦٩	١- عرض سريع
٧٠	٢- وظيفة جملة الحال
٧١	٣- أنواع جملة الحال
٧٢	٤- مكونات الجملة الحالية
٧٢	أولاً : بالصيغ
٧٣	ثانياً : بالقرائن
٧٣	أ- القرائن المعنوية
٧٤	ب- القرائن اللفظية
٧٤	١- الأفعال الناسخة
٧٤	٢- الظروف
٧٥	٣- الحروف
٧٦	اسم الفاعل ودلالته على الزمن
٧٩	الفصل الخامس : الجملة المستقبلية
٨١	١- وظائف جملة المستقبل

٨٢	٢- أنواع جملة المستقبل
٨٤	٣- مكونات جملة المستقبل
٨٤	أولاً : بالصيغ
٨٤	أ- صيغة فعل الأمر
٨٥	ب- صيغة إسم فعل الأمر
٨٥	ج- صيغة المصدر
٨٦	ثانياً : بالقرائن
٨٦	أ- القرائن المعنوية
٨٧	ب- القرائن اللفظية
٨٧	١- قرينة تنوين إسم الفاعل
٨٧	٢- قرينة الأفعال
٨٩	٣- قرائن الظروف
٩٠	٤- قرائن الحروف
٩٠	أ- الحروف المشبهة بالأفعال
٩١	ب- الحروف التواصب
٩٣	ج- حروف الجزم
٩٤	د- السين وسوف
٩٦	و- الأساليب ودلالاتها في سياق الجمل
٩٧	أ- الأساليب الطلبية
٩٩	ب - الأساليب غير الطلبية
١٠١	أساليب وصيغ مشتركة
١٠٢	تضافر القرآن وتدافعها لتحديد مفهوم الزمن
١٠٧	الفهارس العامة